وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبوبكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

عنوان المذكرة

الصناعة الجلدية في الجزائر
ـ صناعة الجلود بتلمسان أنموذجًا ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الفنون

تخصص: دراسات في الفنون التشكيلية

إعداد الطالب

– قريشي حسين.

إشراف الأستاذ الدكتور

– بلبشير عبد القادر

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:

الحمد لله الذي أمدني بقوته لإنجاز هذا العمل.

أتقدم بخالص الشكر وبالغ التقدير للأستاذ الدكتور **بلبشير عبد القادر** الذي أشرف على هذا البحث في جميع مراحله ولم يبخل علينا بجهد أو بعلم ،

كما أتوجه بالشكر والعرفان للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا البحث.

وأخيرا لا يسعني إلاّ أن أقدم كلّ الشكر والامتنان لكلّ من مد يد العون والمساعدة والتوجيه المخلص والرأي السديد حتى اكتمل هذا العمل.

الإهـــداء

إلى الرحمة المهداة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أسأل الله العظيم أن يسقيني من حوضه.

إلى سبب وجودي واستمراري في الحياة ... إلى من استمد منه القوة كلما ضعفت واللين كلّما قست إلى دنيتي. إلى روح أبي الطاهرة حشرني وإيّاه يوم القيامة: **والدي الكريم**

إلى نبض قلبي ، إلى من هي في الحياة حياة .... إلى من تحت قدميها الجنان ، إلى من علمتني دوما أن أجتهد أن أنجح ، حبيبتي: **والدتي الفاضلة.**

إلى قرة عيني ، مسكن روحي وملجأها إخوتي: **زهية، بوفاتح، الصالح، حمزة، مصطفى، جلال، نور الهدى**، والكتكوته الصغيرة: **فاطمة**

إلى من كانت لي سندًا طيلة مشواري الجامعي: **عاشور نعيمة.**

إلى رفقاء دربي: **بوزيد، شعيب، مصطفى، رمضان، صابر، مختار، محمد، صلاح.**

إلى زمـــــلاء الــدراسة

أهـــدي ثـــمرة جـــهدي

المـــــقدمة

تعدّ الصناعات التقليدية جزءًا هامًا من الثقافة المادية في تراثنا الشعبي ولعلّها اكتسبت هذه الأهمية من كونها لصيقة بكلّ ما له علاقة بأوجه حياتنا المتنوعة والمتعددة على مرّ العصور. وانطلاقا من هذه الفكرة، فهي ترتبط بالضرورة ارتباكًا وثيقاً بتاريخ الإنسانية.

ومما لاشك فيه أنّ الإنسان الأول استطاع منذ ظهوره على وجه المعمورة أن يصنع لنفسه أدوات ومعدّات بسيطة – شكّلها من مواد مختلفة – تعكس بحقّ بساطة معيشته، فقد كان يعتمد بالدرجة الأولى على كلّ ما يحبط به في بيئته الطبيعية كالحجر والطين والعظام والجلد وغيرها، مستندا في ذلك على قواه العضلية ومهاراته الفنية، حيث تمكّن مع تعاقب الأزمنة من إشباع رغباته وميولاته المختلفة وإرضاء متطلباته المادية، ومن ثمّ استطاع أن يقوّم حياته ويؤمن مسيرته التاريخية، وهو ما يجعلنا نسلّم بحتمية الإنسان كمبدع حرفي.

وتبعا لما تقدّم، يمكن القول بأنّ الصناعات التقليدية على عكس الكثير من المهن الأخرى تعدّ أعرق وأقدم الصناعات تاريخيا، فقد أثرت ببصماتها الواضحة على كلّ الحضارات التي عرفها الإنسان عبر العصور المختلفة وعبر الأوطان والأماكن. فالشعوب القديمة والحديثة قد تركت عدّة امثلة من منتجاتها تنفرد بها وتميّزها، فمنهم من اشتهر بالنسيج أو الفخار ومنهم من انفرد بالنقش على الخشب أو النحاس، ومنهم من اشتهر بصناعة الجلود وما يرتبط بها وهكذا.

وعلى الرغم مما لهذه الحرف والصناعات من أهمية تاريخية وفنية واجتماعية واقتصادية باعتبارها تعكس البعد الحضاري لكثير من الشعوب، فإنّها لم تلق القدر الكافي من العناية ولم تنل حظّها من البحث والدراسة والتحليل، وقلّما وجدنا من الدّارسين – وخاصة الجزائريين – من اهتم بها.

فلما أتيحت لي فرصة البحث، كان من الطبيعي أن اختار موضوعا خصبا لا تزال مجالات البحث فيه واسعة، وما كان حلمي يتحقق لولا إقبالي على دراسة إحدى فروع الفنون التشكيلية وهي دراسات فنون شعبية، فوجدت فيه ما يلبي رغبتي على الأقل في الكشف عن جانب منه؛ فاستقر اختياري، بعد تفكير طويل وإمعان نظر، على دراسة في الصناعة الجلدية، فوسمت بحثي بعنوان:

" فنون الصناعات التقليدية في الجزائر – صناعة الجلود بتلمسان أنموذجاً –"

إنّ تلمسان إحدى المدن الجزائرية المعروفة بفنها وتاريخها، وقد استطاعت بفضلهما أن تتبوأ – قديما – مكانة مرموقة بين مدن العالم. قال بياس (Piesse): "لقد كانت تلمسان في وقت من الأوقات – حيث كانت عبقرية الدول الأوروبية في سبات عميق – إحدى المدن الأكثر تمدّنا والأكثر تحضراً في العالم"[1].

واستطاعت فوق هذا أن تستقطب عددا كبيرًا من الأنشطة خاصة تلك المرتبطة بالحرف والصناعات التقليدية، الشيء الذي أهّلها – في زمن ليس بعيدًا – لأن تكون مركزًا تجاريا واقتصاديا يقصده النّاس من كلّ الجهات. فمن أهم ما عرفت به هذه المدينة: صناعة النسيج وصناعة الزرابي وصناعة النحاس والفخار، وصناعة الجلود والدباغة والصباغة وغيرها، فكانت هذه الحرف موردًا أساساً للرزق، ثمّ مصدرًا لتجهيز بيوت هؤلاء الحرفيين والأهالي بكلّ ما تصنعه أياديهم.

وفي الأخير نتوصل إلى طرح التساؤل الرئيسي التالي:

ما مدى أهمية الصناعات التقليدية وخاصة صناعة الجلود في وقتنا الحاضر؟

وللإجابة على هذا التساؤل تتدرج مجموعة التساؤلات الفرعية تمثلت في:

1- ما مفهوم الصناعة الجلدية؟ وما هي أهم المنتوجات الجلدية القديمة؟

2- ماهي الحلول والسبل الكفيلة للنهوض بالصناعة التقليدية وخاصة الجلود؟

3- ما هي اهم الطرق لاسترجاع الصناعة الجلدية مركزها الاجتماعي وقيمتها الاقتصادية في المجتمع؟

أسباب اختيار الموضوع:

- **الأسباب الموضوعية:**

- الموضوع من ضمن موضوعات الثقافة الشعبية الهامة.
- محاولة الإلمام ببعض جوانب فنون الصناعة التقليدية لإثراء المكتبة من جهة وتنمية قدراتنا المعرفية من جهة أخرى.
- قلة الدراسات المتعلقة بفنون الصناعات التقليدية عموما وصناعة الجلود خصوصا.

[1] Louis PISESSE , Itinéraire de l'Algérie, paris, Librairie HACHETTE, 1862, P238 – 239.

- **الأسباب الذاتية:**

- كون الموضوع في التخصص "فنون تشكيلية"، فيكون مجال الدراسة في الفنون التشكيلية ومن بينها الصناعات التقليدية.
- توسيع معارفي الشخصية في مواضيع الفنون التشكيلية.
- محاولة دراسة هذا الموضوع بقالب جديد.
- الرغبة في الاطلاع على الموضوع.
- الميل لدراسة المواضيع التي لها علاقة بمجال الصناعات التقليدية.

أهـــمية الـــبحث:

- الكشف عن ماهية فنون الصناعات التقليدية بصفة عامة وصناعة الجلود بصفة خاصة.
- إبراز وتحديد موقف المجتمع الجزائري من الصناعات التقليدية اليوم.
- معرفة الأسس والمقومات التي تقوم عليها الصناعات التقليدية وخاصة الجلود.
- تشجيع النهوض بقطاع الصناعات التقليدية وكيفية استغلاله في الوقت الحاضر وفي المستقبل.
- دور الصناعات الجلدية في دفع عجلة التنمية.

أهداف الـــدراسة:

- يهدف هذا البحث إلى إيجاد الحلول والسبل الكفيلة للنهوض بالصناعة التقليدية.
- كما يهدف إلى استرجاع هذه الصناعة مركزها الاجتماعي وقيمتها الاقتصادية في المجتمع.

الـمنهج الـمتبع:

إنّ المنهج الذي وجدته صائبا لمعالجة هذا الموضوع قام على الوصف والتحليل والتنقيب الميداني لكلّ ما له علاقة بموضوعي، فتمكنت من رصد عدد كبير من الوثائق والصور، إضافة إلى اتصالي المستمر بمن بقي متمسكا بهذه المهنة. وقد ساعدتني هذه الرؤية على اكتشاف بعض الحقائق وجدتها سندًا لي في إنجاز هذا البحث، فتوصلت من خلال ذلك إلى معلومات دقيقة واستبصارات جديدة أدت بي إلى استخلاص بعض التعميمات حول هذه الصناعة مع بيان

أسباب تدهور هذه الصناعة وتقديم الحلول المواتية والضرورية لتفعيل نشاطها ودفع حركيتها. كما أنّني وجدت نفسي مجبرا إلى الرجوع إلى التاريخ الثقافي والانثروبولوجي لمدينة تلمسان لأعرف منه ما أمكن من معلومات حتى أتمكن من الوقوف على حالة الصناعة الجلدية ونموها وتطوّرها.

شرح تفصيلي لخطة البحث:

لقد فرض عليّ المنهج المعتمد الإتيان بخطة للبحث تمثلت في مقدّمة وفصلين وخاتمة.

ففي الفصل الأول، فقد تناولت فيه **موضوع الصناعة الجلدية** وأحصيت فيه أهم النشاطات الحرفية التي كانت وراء ازدهار المدينة في وقت من الأوقات.

والفصل الثاني: خصصته لدراسة **الصناعات التقليدية** بين التسويق الصناعي والسياحي، فركزّت فيه على المنتوجات الجلدية الصناعية، والنهوض بالصناعات الجلدية.

وأنهيت هذا البحث بخاتمة أودعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وكذا أهمّ الاقتراحات التي من شأنها تحرك الصناعات الجلدية.

وبناء على هذا، ارتسمت خطّة هذه المذكرة كما يلي:

- **مقدمة.**
- **الـفصل الأول: موضوع الصناعة الجلدية.**

المبحث الأول: صناعة الجلود في تلمسان بين الصناعات الأخرى

مدخل.

- **المطلب الأول:** النهوض بقطاع الصناعات التقليدية.
- **المطلب الثاني:** أهم الصناعات التقليدية بتلمسان.

المبحث الثاني: الصناعات الجلدية (منطقة تلمسان نموذجا)

مدخل.

- **المطلب الأول:** مادة الجلد.
- **المطلب الثاني:** دباغة الجلد.
- **المطلب الثالث:** صباغة الجلد.

- **الـــفصل الثاني: الصناعات التقليدية**

المبحث الأول: المنتوجات الجلدية القديمة

مدخل.

- **المطلب الأول:** أهم المنتوجات الجلدية القديمة.
- **المطلب الثاني:** عوامل ازدهار الصناعات الجلدية.
- **المطلب الثالث:** آفاق الصناعات الجلدية.

المبحث الثاني: النهوض بالصناعات الجلدية

مدخل.

- **المطلب الأول:** عصرنة المنتوج الجلدي.
- **المطلب الثاني:** استغلال قطاع الصناعات الجلدية.
- **المطلب الثالث:** دور الصناعات الجلدية في دفع عجلة التنمية.

- **خـــاتمة.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**
- **ملحق الصور.**
- **الفهرس.**

الفصل الأول

موضوع الصناعة الجلدية

الـمبحث الأول: صناعة الجلود في تلمسان بين الصناعات الأخرى

مـــــدخل:

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكثير من الصناعات التقليدية في مدينة تلمسان – وإن لم نقل كلّها – بقيت لعهد طويل حكرًا على فئة محددة ومحدودة من المجتمع، وهي متمثلة في فئة الشيوخ رجالا ونساءً، كما أنّها انحصرت في الطبقة التي تفتقر إلى الإمكانيات المادية، الأمر الذي يجرّنا إلى التساؤل حول ديمومة هذه الصناعات وبقائها إذا ما رحل عنها أصحابها.

وعلى أية حال، فإنّ تلمسان قد عُرِفَتْ منذ العهود الأولى بتنوع كبير في الصناعات التقليدية؛ الأمر الذي جعل منها مركزًا تجاريًا واقتصاديا يأتيه التجار من كلّ حدب، فاكتسبت بذلك أهمية بالغة في القارة الافريقية وخارجها، وقد أدّى ذلك إلى إيجاد عدد كبير من الحرفيين منتشرين داخل المدينة، حيث لا تزال إلى أيّامنا "كثير من الأمكنة من أحياء وحارات وأسواق وأبواب وطرق وجوامع بـ تلمسان تحمل اسم الحرفة أو الصناعة التي كانت قائمة بها في العهد القديم"[1]، السيء الذي يدّل على اتساع رقعة الحرف وزيادة عددها.

الـمطلب الأول: النـهوض بقطاع الصناعات التقليدية

لا يخفى على أحد أنّ الصناعة التقليدية في الكثير من المدن الجزائرية وتلمسان على وجه الخصوص عانت لسنين طويلة من قلة الاهتمام والعناية، لأنّ الجهات الرسمية تناست الدور الذي قد تلعبه هذه الصناعات في تنمية اقتصاد البلاد.

ولحسن الحظ، كانت هناك بعض الرؤوس المفكرة من قيادات البلاد التي أدركت الخطر الذي يحوم بقطاع الصناعات التقليدية والتي قد يهددها بالزوال والانقراض. وعلى هذا الأساس قامت الدولة بجملة من الإجراءات التنظيمية من أهمّها إصدار النصوص التشريعية التي من شأنها هيكلة هذا القطاع وضبطه.

ومن هذه النصوص القانون 96/01 الذي سمح بتأسيس عشرين (20) غرفة للصناعات التقليدية والخرف عبر المناطق الجغرافية الجزائرية التي تسيطر فيها الصناعات التقليدية، إذا

---

[1] الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزء الأول، ص323.

أصبحت هذه الغرف تتمتع بصلاحيات اعتماد ومراقبة النشاطات التقليدية، مع العلم أنّ هذا الدور كان في السابق من اختصاص المجلس الشعبي البلدي.[1]

كما سمح المرسوم 92/12 قبل ذلك بإنشاء، وتحت وصاية الوزارة المكلفة بالصناعة التقليدية، الغرفة الوطنية للصناعات التقليدية للتنسيق بين كافة الغرف الجهوية. ومن المهام الأساسية لهذه الوكالة الوطنية حماية كلّ ممارسة للصناعة التقليدية وتطويرها وترقيتها، كما أنّها تمتلك امتيازات أخرى تكمن في ترويج وتسويق المنتوجات التقليدية في الأسواق المحلية والدولية.

وسمح هذا الجهاز التنظيمي والتشريعي بـ:

- توضيح وتحديد وكذا الكيفيات التطبيقية والقانونية لممارسة أي صناعة تقليدية.
- تحديد أنماط التنظيم القانوني والاقتصادي للصناعات التقليدية.
- خلق أجهزة تسيير ومراقبة قطاع الصناعات التقليدية (غرفة الصناعات التقليدية والحرف).
- وضع سياسات تحفيزية للصناعات التقليدية من الناحية الاقتصادية (جباية)، ومن الناحية النوعية (ضبط الأسعار، والعلامة التجارية).

وقد جُمعت كلّ هذه النقاط في مَجْمَع للنصوص التشريعية والتنظيمية التي تحكم قطاع الصناعة التقليدية ونُشِرَ في شهر فيفري 1999.[2]

وإلى جانب هذه الإجراءات التشريعية، قامت الهيئات المشرفة على هذا القطاع بإدراج بعض الصناعات التقليدية ضمن برامج مراكز ومعاهد التكوين المهني، وكل أمل في أن يكون هذه الإجراء حافزًا على انتعاشه من جهة، والحد من مشكل ديمومة ممارسة الصناعات التقليدية وبقائها من جهة أخرى.

---

[1] الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، المرجع السابق، ص324.

[2] المرجع نفسه، ص 324.

كما يتواجد بتلمسان الغرفة الجهوية للصناعات التقليدية والحرف التي تقوم هي أيضا بتأطير ومراقبة قطاع النشاط التقليدي من خلال تسجيل الحرفيين ومتابعتهم. وقد وضع مسؤولو هذه الغرفة تحت تصرّف هؤلاء الحرفيين قاعة كبيرة تسمح لهم بعرض منتوجاتهم على أن تتكفل ببيع هذه المنتوجات بأثمان من تحديدها، الشيء الذي يجلب لها بعضا من المداخيل؛ لأنّ هذه الغرف تتمتع بالاستقلالية المالية والمعنوية.

وعلى هذا الأساس، غيّرت الدولة من رؤيتها اتجاه قطاع الصناعات التقليدية؛ حيث أولته عناية واهتمام ليس فقط بسبب ما يوفره لأصحابه من ارتباط تاريخي وثقافي بماضيهم، ولكن لدوره الاقتصادي والتنموي وخلق الفرص الوظيفية، وقد عبّر عن هذه الفكرة الوزير المكلف بهذا القطاع سنة 1994 بقوله "وهكذا قد ثبتت مكانة الصناعة التقليدية كقطاع بإمكانه المساهمة فعليا في خلق الثروات وامتصاص البطالة ورفع إيرادات الصادرات خارج المحروقات[1].

لذلك ليس غريبا أن تُفرد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دراسة لهذا النوع من الصناعات أصدرتها سنة 1995 بعنوان **"الخطة القومية للنهوض بالصناعات التقليدية في الوطن العربي"** أكدّت فيها على أهمية الصناعات التقليدية وضرورة العناية بها، وتوصلّت فيها إلى أنّ هذه الصناعات رغم أهميتها مازالت تحتل موقعا ثانويا في الكثير من البلدان العربية وأنّ طاقات العاملين وإمكانياتهم في هذا المجال لم تستغل الاستغلال الأمثل.[2]

وعلى الرغم من كلّ الجهود التي تبذلها الجهات الرسمية من أجل النهوض بالصناعة التقليدية، إلاّ أنّها تشهد في السنوات الأخيرة نوعا من الركود الذي مسّ الكثير من الأنشطة، ولعلّ ذلك يرجع إلى قلّة الإقبال على شراء منتوجاتها لعدم الحاجة إلى مثل هذه الأشياء التي تغيرت مع الزمن.

---

[1] Journée d'étude sur l'artisanat traditionnel **: communication de monsieur le ministre du tourisme et de l'artisanat,** sidi – Fredj, 15/11/1994.

[2] ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة القومية للنهوض بالصناعات التقليدية في الوطن العربي**، تونس، ص12.

ولا غرابة في وجود بعض من الحرفيين الذين لا يزالون متمسكين بحرفهم على الرغم من أنّها تعد ذات مردود مادي، فهم يعانون من مشاكل عديدة أكثرها مادية، وقد يرجع سبب بقائهم في ممارسة إحدى هذه الصناعات إلى سببين اثنين:

1- **طغيان الطابع الروحي العاطفي؛** إذ أنّ الكثير من الحرفيين قد ورثوا صنعتهم من آبائهم، ومن غير المعقول أن يتخلى الابن عن الإرث الذي تركه أبوه، حتى أن بعض العائلات التلمسانية ذات الأصل الأندلسي "تعرف بنسبتها إلى حرفة من الحرف التي كانت تزاولها في ذلك العهد كفخّار وحصّار وسقّال وبنّاي وهدّام ونقّاش ونجّار إلى آخره"[1].

2- **طغيان الطابع المعرفي،** حيث أنّ معظم الحرفيين ليست لهم دراية بتخصّصات أو مهن أخرى غير الحرفة التي يمتهنونها، ولهذا يكون التخلي عنها أمرًا صعبًا إن لم يكن مستحيلا.

[1] الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان**، مرجع سبق ذكره، ص401.

الـمطلب الـثاني: أهم الصناعات التقليدية في تلمسان

حظيت تلمسان بسمعة كبيرة وشهرة عالمية لسنوات عديدة لما كانت تتمتع به من صناعات تقليدية على اختلاف أنواعها، هذه الأخيرة كانت وراء ازدهار وانتعاش المدينة لحقب طويلة، الأمر الذي جعل الحرفي يحتل مكانة محترمة في المجتمع التلمساني. ومن أهم هذه الصناعات:

1- الـصناعة الـنحاسية:

تعد هذه الصناعة من إحدى الحرف العريقة التي عرفتها الجزائر منذ القدم، فهي ذات جذور بعيدة في تاريخ البلاد، حيث أنّ وجود الحرفيين النحاسيين في الجزائر يعود إلى العصور الوسطى[1]. وأهم المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة قسنطينة وتلمسان.

يعود تاريخ وجود هذه الصناعة في مدينة تلمسان إلى عهد الموحدين، حيث كان لحكامهم عناية كبيرة بمختلف الصناعات. وقد نلمس ذلك من خلال الأواني والأدوات النحاسية التي كانت تصنع بالمدينة والتي ما زال يحافظ عليها بعض التجار بمحلاتهم والعائلات بمنازلهم. وكانت هذه الصناعة راسخة في بعض الأسر التلمسانية تتناقلها من جيل لآخر محافظة بذلك على تقنيات الصنع القديمة، فقد "ترك النحّاس المشهور بالمشور[2] محمد بن قلفاط لابنه عثمان إرثا فنيا إلى غاية من الدقة"[3]، ولكن هذه الحرفة قد اندثرت بذهاب أصحابها.

[1] **الصناعات التقليدية الجزائرية**، وزارة السياحة والصناعات التقليدية، مديرية الصناعات التقليدية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، أفريل 1998، ص25.

[2] **المشور**: المدينة التي ابتناها الزيانيون يوم كانت تدعى تلمسان بـ (تاجرارت).

[3] TELEMCEN : au passé rapproché 1937 – 1962 ; Edition Gandini ; Avril 1997 ; p71.

وقد شهدت هذه الصناعة التقليدية بالمدينة تطورا كبيراً عبر مرور الأزمنة، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى أنّ كلّ المصنوعات النحاسية، حتى تلك التي كانت تستعمل في الأغراض المنزلية اليومية، قد عُنيت باهتمام أهالي المنطقة لما تتميز به من إتقان وجودة وخاصة الزخارف التي زادتها جمالا، فالتلمسانيون مازالوا يستعملون – إلى أيامنا – هذه الأواني في التجميل الداخلي لمنازلهم.

2- الـــلباس الـــتقليدي:

مما لاشك فيه أنّ طريقة اللّبس على مرّ العصور هي انعكاس لمدى التطور الذي لحقته الحضارات والشعوب، فالزخارف التي تنسج على اللباس مثلا قد تعطينا فكرة واضحة عن عادات وتقاليد بعض المجتمعات.

وقد نالت تلمسان حظّها من هذا التطور، فاللباس التقليدي التلمساني ذو شهرة كبيرة في الجزائر؛ لأنّه يمتاز بالاتقان والجودة ثمّ بالتنوع في استعمال الزخارف النباتية التي يدخل في تشكيلها الخيط الذهبي والفضي. ففي القرن السادس عشر مثلا "كان المسلمون واليهود، على اختلاف تقاليدهم كانوا يلبسون هذه الملبوسات في أيام الأفراح: الصدريات ذات اللون الرمّاني والمطروزة بالخيط الذهبي والقفطان والشواشي المخروطية."[1]

[1] TELEMCEN : au passé rapproché 1937 – 1962 ; p72.

اللباس التقليدي التلمساني

والألبسة التقليدية التي تشتهر بها مدينة تلمسان هي في حقيقة الأمر من اختصاص النساء، فهي على أنواع وأشكال عديدة، ومن أهمها:

- **القفطان**[1]: وتنفرد به المدينة دون غيرها من المدن الجزائرية. يُخاط هذا اللباس من القطيفة[2] وهو قماش مخملي، بحيث يطرز بالخيط الذهبي الذي تشكله أيادي النساء الماهرات في زخارف في غاية من الدقّة والجمال. وهذا اللّباس خاص بالعروس ترتديه يوم زفافها.

[1] يقال القفطان أو القرفطان وهي كلمة تركية.

[2] من الأقمشة المخملية الغالية الثمن.

- **القسنطينية:** وهو لباس فاخر، أصله من مدينة قسنطينة، يصنع من القطيفة ويطرز أيضا بالخيط الذهبي. وهو عبارة عن لباس طويل يصل إلى أسفل الأرجل على العكس من القفطان.

- **الرِّداء:** وهو من خصوصيات المدينة، ينسج من قماش شفاف وخفيف جدّا، ويشبه كثيرًا "الشاوية"[1]، كما أنّه من الملابس الخاصة بالأفراح والمناسبات.
- **الكراكو:** وهو في الأصل من الجزائر العاصمة، ولأناقته وجماله استعملته النساء التلمسانيات، وأصبح من الألبسة الشائعة في المدينة منذ زمن بعيد. يتكون من جزء علوي (المعطف) يصنع في الغالب من القطيفة ويطرز بالخيط الذهبي، وجزء سفلي (السروال) يصنع من قماش حريري يدعى (المنسوج) نسبة للآلة التي تختص بصنعه وهي (المنسج).

وتستعمل التلمسانيات ألبسة أخرى ذات الأصل المغربي، لكنّها أصبحت منذ زمن بعيد من تقاليد المدينة، فهنّ يرتدينها في الأفراح والولائم. ومن بينها "البَدْعِيَّة" و"الفُوقية" و"التَحْتية"،

[1] لباس تشتهر به منطقة الأوراس.

وقد يرجع السبب في ذلك إلى خفتها أو تأثراً بتقاليد النساء المغربية باعتبار أنّ مدينة وَجْدَة المغربية تبعد عن تلمسان بأقل من مائة كيلومتر.

3- الـصناعة الـنسيجية:

تعد حياكة النسيج واحدة من اهم الصناعات التقليدية التي عرفها الإنسان منذ عهود بعيدة، فجذورها تضرب بعيدا في أعماق التاريخ. وقد احتلت بفعل أصالتها واهميتها مكانة مرموقة في كلّ المجتمعات.

وقد كانت لعرب الجاهلية دراية بصناعة النسيج بكلّ ما تحمله من خبايا وأسرار، فقد عرفوا كيف يتحكمون فيها، الشيء الذي جعلهم "يصنعون من الأصواف والأوبار والأشعار أثاثا من ملابس وبُسط وسجاجيد وغيره"[1] لقوله تعالي: **((ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعًا إلى حين))**[2]، وخاصة الخيام لأنهم كانوا في الغالب من البدو الرحل.

ويذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك، فهو يقرّر بأنّ هذه الصناعة قديمة في الخليقة، ولقدمها تنسبه العامة إلى إدريس عليه السلام، وهو أقدم الأنبياء.[3]

وتلمسان إحدى المدن الجزائرية التي عرفت هذه الصناعة منذ القدم على اختلاف منتوجاتها. فبالإضافة لكونها "مركزا تجاريا، كانت معروفة كمركز انتاجي. وقد كان للصناعة النسيجية دور كبير في اكتسابها تلك السمعة الكبيرة، حيث كانت تنتج أقمشة صوفية الأكثر خفة والأكثر متانة"[4].

---

[1] واضح الصمد، **الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1402هـ - 1989م، ص34.

[2] سورة النحل، الآية: 80.

[3] ينظر: ابن خلدون، **المقدمة**، الجزء 2، تحقيق: عبد الله محمد درويش، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص496.

[4] TELEMCEN : Georges Marçais ; Librairaie Re mouard ; H.Laureus ; Editeur ; 1950 ; p93.

وفي القرن الرابع عشر "يخبرنا ابن خلدون بأنّ حايك[1] وبرنوس تلمسان كانا مطلوبين في الأسواق الغربية والمشرقية"[2]. وقد وجد الفرنسيون عند دخولهم إلى تلمسان اكثر من خمسمائة معمل نسيج[3]. ولكن في سنة 1913 أقرّ كل من ألفرد بال A.BEL و P.Ricard بأنّ المناول[4] الأفقية المنتجة للأغطية والألبسة ذات النعومة الشديدة لم يكن عددها يفوق المائة إلاّ بقليل.

وفي السنوات الأولى من استقلال الجزائر، شهدت هذه الصناعة انتعاشا كبيرًا على المستوى الوطني وبتلمسان على وجه الخصوص؛ فالمناول "قد ارتفع عددها من اثنين وثلاثين في عام 1968 إلى أزيد من ثماني مائة في عام 1980"[5] مختصة في صنع كلّ المنتوجات النسيجية.

ومن أهم المنتوجات التي يصنعها النسّاجون التلمسانيون الذين مازالوا يمتهنون هذه الحرفة: الأغطية الصوفية مثل **الحنابل والقطنية والبُورابَح**؛ إذ أنّ المدينة تنفرد بصنع نوعين منه وهما **"البطانيّة"** و**"الحَشايشي"**. إلاّ أنّ الطلب على **"البورابح"** قلّ كثيرا، لأنّه لم يعد من المفروشات الضرورية لجهاز العروس.

(1) لحاف أبيض يستر كامل جسد المرأة، وتلبسه التلمسانيات عن خروجها من البيت.

(2) ابن خلدون، **المقدمة**، المرجع السابق، ص496.

(3) مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزء 3، ص316.

(4) **المنوال** هو آلة حياكة النسيج، وهو عبارة عن آلة يدوية معقدة التركيب يدخل في تركيبها الألواح الخشبية وبعض الخيوط الدقيقة والحبال. وهو نوعان: أفقي وعمودي. الأول خاص بالرجال والثاني خاص البنساء.

(5) محمد تروزين، **صناعة المضفرات والمنتوجات الحلفاوية بالمنطقة السهبية من دائرة سبدو بولاية تلمسان**، المعهد الوطني العالي للثقافة الشعبية، تلمسان، 1993، ص9.

وهناك الجلابيب والبرانس والمنشفات، وممسحات الأرض، والفوطات إلى غير ذلك. والأهم من ذلك الحايك التلمساني الذي نال شهرة كبيرة في الجزائر كلها، فهو على نوعين: حايك المَرَامْ وهو مصنوع من حرير دودة القز، والنوع الثاني مصنوع من الخيوط الاصطناعية وهو أقل جودة وثمنا.

4- صـناعة الزرابي:

من بين الصناعات التقليدية العديدة التي تدخل ضمن المنسوجات صناعة الزرابي. فقد احتل هذا المنتوج مكانة هامة في كلّ المجتمعات بسبب طول مدة إنجازه من جهة، وإلى غلائه من جهة أخرى.

والجزائر قطر من هذه الأقطار التي عرفت كيف تحافظ على هذه الصناعة، حيث أنّها منتشرة في العديد من المدن وتنسب إليها، ونذكر منها: زربي غرداية وبني يزقن، وزربية النمامشة (تبسة وخنشلة)، وزربية معديد (مسيلة وبرج بوعريريج)، وزربية قرقور (سطيف).

أمّا عن تلمسان، فقد عرفت هي الأخرى هذا النوع من الصناعة من عهود قديمة، فـ "يحي ابن خلدون وليون الإفريقي" يخبرننا بأنّه في القرنين الرابع عشر والسادس عشر كانت صناعة الزرابي نشاطا ذو أهمية بالغة لدى سكان المدينة"[1].

ولكن بمجيء الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حدث تطوّر تكنولوجي كبير في وسائل الإنتاج، فظهرت الآلات الميكانيكية السريعة التي طغت على الصناعة النسيجية والزرابي على وجه الخصوص.

وهكذا كان لظهور المعامل الممكننة في تلمسان أثر سلبي على هذه الصناعة؛ حيث أنّ سرعة الإنتاج أثرت على نوعية وجودة الزربية، الأمر الذي أدّى إلى ضعف السوق التلمسانية من جهة، وغلى غلق عدد كبير من الورشات، فكان لهذا الوضع انعكاس سلبي على الحياة الاجتماعية للمدينة.[2]

[1] TELEMCEN : au passé rapproché 1937 – 1962 ; p69.

[2] المرجع نفسه، ص70.

الــمبحث الثاني: الــصناعات الــجلدية (منطقة تلمسان أنموذجا)

مدخل:

مما لا شك فيه أن تاريخ استعمال الجلود يعود إلى عهود قديمة، بل إنّه يرتبط ارتباطًا وثيقا ببداية الإنسانية، ولعلّ الظروف الطبيعية القاسية التي كان يعاني منها الإنسان البدائي من حرّ وبرد وما شابه ذلك، قد حركت ذكاءه وأيقظت مهاراته الفكرية، حيث وجد لنفسه سبيلا بأن اتخذ جلد الحيوان الذي يصطاده لباسا له ليقي به جسمه.

فالصيد إذن، كان أولى العمليات التي قام بها الإنسان لكي يحافظ على أمنه وعلى سلامة عائلته من الحيوانات والوحوش، وقد استعمل لحومها وأصوافها وجلودها على وجه الخصوص في حياته اليومية لأغراض نفعية.

وعلى هذا الأساس، تعدّ الصناعة الجلدية فرع من فروع الدراسات الأثرية، إذ أنها مرآة صادقة تعكس حضارة أي شعب من الشعوب وتبرز ذوق العصر، كما تبين أهم طبقات المجتمع التي وجدت آنذاك مع أهم العادات والتقاليد التي توارثها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم.[1]

وبمرور الأزمنة، تطور الإنسان وتحضر فاهتدى إلى تربية المواشي حتى يوفر لنفسه كميات أكبر من الجلود، وقد تأكّدت أهمية استعمال هذه المادة في المجتمعات كلّها وبصورة غير مباشرة من خلال اكتشاف الأدوات والمعدّات التي تسمح بتحويلها وتصنيعها. وهكذا أصبحت الجلود على اختلاف أنواعها ذات أهمية بالغة ومكانة مميزة في اقتصاد العديد من الدول، المر الذي أدّى على ظهور مجالات أخرى من الإنتاج كصناعة الملابس والأحذية (الجاكيت والسراويل والقفازات والقبعات) وكذلك الأحذية والحقائب والمحافظ. وقد استخدمت الجلود أيضا في إنتاج أصناف عديدة من الأثاث المنزلي، كالمقاعد والأرائك والمفروشات كالوسائد وغيرها.

---

[1] ينظر: بو سليم صالح، **الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكلت – صناعة الفخار والجلود نموذجا –**، دراسة ميدانية فنية إثنوغرافية، ص50.

الـــمطلب الأول: مـــادة الـــجلد

إنّ الجلد هو بشرة الحيوانات أو أدمتها أو فروها سواء كانت الثدية أو الزواحف أو الطيور أو الأسماك، والتي عولجت بطريقة محكمة تجعله صالحا للاستعمال، وتدعى هذه العملية "بالدبّاغة".

وللجلد وجهان يختلفان في السمك؛ وجه علوي يمثل نسبة قليلة من سمك الجلد ويغطيه الصوف او الوبر؛ حيث أنّ وضعية الصوف على الوجه ونوعية البشرة يعطيان لكلّ صنف من الجلود طابعه المميز، والوجه السفلي لحمي وأكثر نعومة، وهو الجزء الأهم في الجلد، حيث يصل سمكه إلى أربعة اخماس من السمك الإجمالي.

ويذهب البعض إلى القول بأن الجلد موهوب بالحياة، شأنه في ذلك شأن الإنسان؛ إذ "أنّ الصنّاع يؤكدون ذلك، فمن المصطلحات التقنية التي يستعملها الدبّاغون: الجلد يأكل، ويشرب، وينام، وينشأ من الماء، ويزخرف بعد نشأته".[1]

ويجرنا الكلام إلى الحديث عن مدينة تلمسان، فقد عرفت هذه المدينة صناعة الجلود منذ القدم، ففي القرون الوسطى وخاصة في الفترة التي حكم فيها الزيانيون كان "من جملة الصادرات إلى الخارج الحبوب والزيوت والجلود والصوف"[2]، وهذا دليل على أنّ مدابغ تلمسان كان يخرج منها كميات كبيرة من الجلود تفوق احتياجاتها المحلية.

ولعلّ هذا ما أدى إلى تحفيز الحرفيين الذين هم على علاقة مباشرة بالجلود كالبلغاجيين مثلا على الاستقرار بالمدينة. ولأهمية هذه المادة وكثرة المهتمين بالصناعة الجلدية والمشتغلين بالدباغة وخاصة تلك الصلة الوثيقة التي تربط بين كلّ هذا الجمع من الحرفيين قد ساعد على التقائهم في مكان واحد تسهل من خلاله العلاقات التجارية، حيث كان مقصدا لكلّ من له اهتمام بمادة الجلد والمصنوعات الجلدية.

وللإشارة فقط، فقديما كانت هذه القوافل التجارية الآتية من البلاد البعيدة تحطّ بهذا المكان لشراء ما تحتاجه من بضائع وتبيع ما أتت به من سلع وكان يدعى **بسوق منشر الجلد**، "وكان

---

[1] D. JEMMA, **Les Tanncurs de MARRAKECH**, Mémoires du C.R.A.P.E xix ; imp, ZABAN, Alger ; p55.

[2] الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان**، مرجع سابق، ص341.

هذا السوق قرب جامع ابن البناء[1]، وهي تتبئنا عن وجود ثلاثة طوائف من الصناع: الدبّاغون ... والخرّازون ... والسرّاجون"[2] الذين كانوا ينتجون مصنوعات في غاية من الجودة والإتقان.

ولقد أحدث التطور التكنولوجي الذي صاحب الثورة الصناعية انقلابا كبيرا في كثير من مجالات الحياة وخاصة الصناعات التحويلية. فابتداء من سنة 1950 أخذت البلدان المتقدمة في تصنيع مواد بلاستيكية تشبه الجلد في كثير من خصائصه، ولأنّ المنتوجات المصنوعة من الجلد الطبيعي أضحت غالية الثمن فقد أصبح استعمال هذا البديل امرا حتميا، وهكذا لم تعد الجلود الطبيعية مهمة كما كانت عليه.

أمّا تلمسان، فقد عرفت استيراد الجلد الاصطناعي في فترة مبكرة من طرف بعض الحرفيين الإسكافيين الذين استغلوا هذه الفرصة، فانصرفوا عن حرفتهم وتوجهوا نحو المتاجرة بالجلود لتيقنهم من أنّ هذه النوعية من الجلود ستلقى رواجا كبيرا في الأسواق المحلية والوطنية. وبالفعل، لقد كانوا صائبين في تنبئهم، إذ أنّ معظم المنتوجات الجلدية التي تباع في محلات المدينة – أي تلمسان – من احذية وحقائب نسائية هي مصنوعة من هذا البديل الصناعي[3]، والمثير للدهشة أنّ هذه الجلود متينة وقوية، وتكاد أفضل من بعض الجلود الطبيعية التي لم تأخذ حقّها من الدبّاغة.

كما انّ انتشار الجلد الصناعي أدى بدون شك إلى انتشار المصانع الصغيرة الخاصة، فتطور الإنتاج وكثرت الورش وانخفضت الأسعار.

ولابد من الإشارة أيضا إلى انّ سعر الجلود يرتكز على عدة عوامل، من أهمها نوعية الجلد ومصدره، وتبنى أسعار جلود الضأن والماعز على القطعة، أمّا جلود الأبقار فإنها تبنى على المساحة.

---

[1] لا يزال هذا المسجد قائما إلى يومنا هذا.

[2] الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان**، مرجع سبق ذكره، ص328.

[3] زيارة قمت بها إلى محلات بيع الأحذية (شارع ابن خلدون).

الـــمطلب الثاني: دبـــاغة الـــجلود

من المعلوم انّ الإنسان قد استعمل منذ القدم الجلود المدبوغة لثيابه واحذيته وكوخه الذي يأوي إليه مستخدما في ذلك أنواعا مختلفة من المواد.

و**الـــدباغة** "هي دبغ الإهاب بما يدبغ به، والإهاب هو الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ"[1]، حيث يكتسب الجلد بعد دبغه "زيادة في المقاومة وعدم التقلص في الماء الحار او الأحماض الممدّدة بالماء ولا يفسد ويتعفن في الأحوال الرطبة أو الحارة، لأنّ الجلود: تتألف غالبا من مادة غروية تتأثر بكثير من المواد كالخمائر والبكتريا والملاح والأحماض والقلويات والزيوت والدهون والخلاصات الدباغية"[2].

وقد وجدت حرفة الدباغة بتلمسان منذ عهود بعيدة، ويبرز ذلك من خلال ما كانت تصدّره من كميات وأنواع مختلفة من الجلود[3]، وهذا دليل على أنّ انتاجها من هذه المادة كان يفوق احتياجاتها المحلية. وإذا كان هذا الكمّ من الجلود ينتج بالمدينة، فإنّه لابد من تواجد الدبّاغين ودور الدباغة.

وبالفعل كان بتلمسان – في أوائل الاحتلال الفرنسي – أربعة دور للدباغة "واحدة بحي القصّارين بأقادير[4]، وثانية على ضفة واد مشتكانة قرب الريّاض الحمّار[5]، وثالثة بالقلعة[6]، ورابعة بحي قباصة[7] قرب مقبرة اليهود"[8].

---

(1) واضح الصمد، **الصناعات والحرف عن العرب في العصر الجاهلي**، مرجع سبق ذكره، ص231.

(2) **دباغة الجلود وصناعة المواد المتعلقة بها**، ترجمة وإعداد جعفر طه الهاشمي، دار الصفدي، دمشق، 1418 هـ – 1998م، ط1، ص9.

(3) ينظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان**، مرجع سبق ذكره، ص341.

(4) **أقادير**: وهي تلمسان قديما.

(5) يوجد هذا الحي خارج **باب الجياد**.

(6) كانت متواجدة على **أرض قراجة** وراء المسجد.

(7) يوجد هذا الحي شمال **باب القرمدين**.

(8) ينظر: الحاج محمد بن رمضان شاوش، **المرجع السابق**، ص341.

وقد توقفت مدبغة أقادير عن النشاط الفعلي للدباغة منذ بداية التسعينات على إثر تدهور الحالة الصحية لمالكها "السيد بن براهيم قويدر"، وليس نتيجة تغيير مجرى العين التي كانت توفر الماء كما يزعم البعض.[1] فالمياه لا زالت تنساب من هذه العين على يومنا هذا.[2]

وتجدر الإشارة على أنّه لم يبق من مرافق هذه المدبغة إلاّ القليل، فالزائر قد يمرّ بجانبها من دون أن يلحظ وجودها، فالحُفر التي كانت تغسل وتدبغ فيها الجلود لم يعد لها أيّ أثر هي الأخرى. أمّا ما تبقى منها، فهي مجرّد بيوت قديمة منها ما هو مستعمل لتخزين الجلود الخضراء وأخرى لممارسة العمل اليومي. إنّ عدد العاملين بها اليوم لا يتعدى خمسة، ولكنّهم لا يمتهنون نشاط الدّباغة.

والملفت للانتباه انّ هذه الدور الأربعة كانت متواجدة خارج المدينة، والسبب في ذلك يرجع أساسا إلى وقاية السكان من التلوث والرائحة الكريهة التي تنبعث منها نتيجة استعمال مواد الدباغة والصباغة (النباتية أو الكيمائية)، كما أنّها تمركزت بالجهة الشرقية من المدينة لاعتبارات مناخية، من أهمّها الرياح الغربية التي تساعد على تجفيف الجلود، وإبعاد تلك الروائح عن المدينة.

وقد كان لدُورِ الدباغة في تلمسان أهمية كبيرة ومكانة مميّزة؛ إذ أنّها كانت تشغِّل عددا هائلا من أبناء المدينة، حيث أنّه إلى "نهاية الثلاثينيات من هذا القرن – أي القرن العشرين– لم تكن توجد تقريبا عائلة بتلمسان لا يعمل أحد أفرادها في الدباغة"[3]. وإلى جانب ذلك، كانت تمدّ السرّاج والخرّاز بالجلود والدرّاز[4] بالأصواف، ولهذا عُرفت الدباغة على أنّها "أم الصنائع" لأهمية منتوجها من حيث استعمالاته العديدة والمتنوعة، ثمّ للأهمية العددية لليد العاملة التي كانت تشغلها هذه الحرفة.

---

[1] نقادي سيدي محمد، **التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الاجتماعية**، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، تلمسان، 1991، ص166.

[2] زيارة ميدانية قمت بها إلى عين المكان بتاريخ 2017/11/10.

[3] نقادي سيدي محمد، المرجع نفسه، ص166.

[4] الحرفي الذي يمتهن حرفة النسيج، والأصل أنّ الدرّاز تحريف لعبارة "دار الطرّاز" عن طريق الإدغام.

وتجدر الإشارة إلى المعلّمين من الدباغين وغيرهم من الحرفيين كونّوا لأنفسهم مجلسا داخل المدينة يهتم بشؤونهم ويتخذ جميع القرارات الهامة التي تخص حرفة الدباغة، وكان يرأسه عضو من أعضائها يدعى ((أمين الطائفة))، وقد كان آخر امين الدّباغين بتلمسان وذلك في أواخر الثلاثينيات من هذا القرن – أي القرن العشرين – السيّد بريسكي المدعو بـ "النصيص"[1]، إنّه كان على دراية كاملة بأخلاق ومهارات المعلّمين والصنّاع من دباغين وخرّازين، وكان يحتفظ بقائمة أسماء الحرفيين الذين يتعامل معهم، يسجّل عليها ملاحظاته حول سلوكهم المهني والأخلاقي، وقد اتّخذ أمين الدبّاغين "فندق الرمّانة"[2] مقرا له؛ حيث يلتقي بداخله كلّ الحرفيين المستعملين للجلود.[3]

أمّا عن أسعار هذه المادة – الجلود –، فكان الدلّال[4] هو الضابط لها في السوق، فعلى إثر اتصاله بهؤلاء الحرفيين تتكون لديه نظرة حول سعر الجلود، فيبلّغ أمين الطائفة، وهذا الأخير يحدد السعر اليومي بعد استشارة المنتجين، وقد كانت هذه الطريقة مطبقة على صناعات أخرى، كصناعة المصوغ التي كان آخر أمين لها السيّد "محمد بن قلفاط" وكان يُلقب بـ "أمين الفضة"، وهذا يدل – أيضا – على أنّ تلمسان اشتهرت أيضا بصناعة المعادن وخاصة النحاس، ولكنّ للأسف الشديد لم يبق أي أثر لهذا النشاط بالمدينة فكلّ ما هو معروض بالمحلاّت إنّما يجلبه أصحابه من مدن بعيدة كالجزائر وقسنطينة اللتان مازالت تحفظ بحرفيين يعرفون أسرار هذه الصناعة.[5]

وقد شهد القرن العشرين تطوّرا كبيرا وسريعا للدبّاغة وخاصة في البلدان التي أدركت قيمة هذا النشاط فأولته كلّ الاهتمام والعناية واكتسبت بذلك سمعة عالمية. وهكذا أصبحت الدباغة صناعة بمعنى الكلمة شأنها في ذلك شأن الصناعات الأخرى التي يعتمد عليها في نمو هذه البلدان اقتصاديا.

---

[1] نسبة لقصر قامته.

[2] توجد بهذا الفندق مصطبة، كانت مخصصة لعرض الجلود، وقد حول الفندق إلى مقهى.

[3] نقادي سيدي محمد، **التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالاته الاجتماعية**، مرجع سابق، ص201.

[4] **الدلّال:** شخص يعينه الأمين، يحمل هذا الدلاّل الجلد ويطوف به في السوق، وعن طريق المزايدة يحدد السعر اليومي للجلد.

[5] نقادي سيدي محمد، المرجع نفسه، ص198.

وقد أمدَّ التطور التكنولوجي الذي أحرزته هذه الدول دفعة كبيرة لهذه الصناعة؛ حيث أصبحت مربحة سواء بإنتاج مواد نصف مصنّعة أو بإنتاج جلود مدبوغة. ولا تزال الدباغة إلى أيّامنا تسجّل تطورا وتقدّما بسبب الإقبال الدائم على شراء المنتوجات الجلدية على اختلاف أنواعها كالأحذية والحقائب والمحافظ والأحزمة وغير ذلك.

وقد رافق هذا التطور نمو في الصناعات الكيميائية المتعلقة بالدباغة من خلال انتاجها لمواد الدّبغ والصباغة والصقل والتلميع، وكذلك مساهمتها في تقدّم طرق الدباغة وتحسين الإنتاج، ومن ثمّ تلبية مطالب الدباغين والعاملين في صناعة الجلود. وترجع كلّها إلى ثلاث مجموعات هي:

1- **خلاصة النباتات الدباغية:** استعملت الخلاصات النباتية في الدباغة منذ عهود بعيدة، فهي أقدم طريقة عرفتها الإنسانية، ولا زال الكثير من الحرفيين – في المغرب الأقصى مثلا – يستعمل الطريق نفسها.

والدباغة بهذه المواد تستغرق مدّة طويلة من الزمن تتراوح بين 4 إلى 5 أشهر وفي بعض الأحيان إلى أكثر من ذلك[1]، ولم تعد هذه الطريقة تطاق في يومنا هذا، على الرغم من أنّها تجعل الجلود أكثر قوة وكثافة وثباتا – أي لا تقبل التمدد –. ولهذا فقد استخدمت لدباغة النعل وتبطين الأحذية والتنجيد وصنع المحافظ والأحزمة وغير ذلك من المنتوجات. ويمكن أيضا تزيين وزخرفة هذه الجلود، فيستعملها لتجليد الكتب مثلا.

ومن المواد النباتية المستعملة عادة في الدباغة هي خلاصات نبات السنط (أي الميموزا) وشجر البلوط الفليني (Chêne liege)، والكبرش (quebracho)[2]، ولِحاء الرمّان وتَكاوُت[3] الذي شاع استعماله في الدباغة التقليدية بتلمسان، وغيرها.

---

[1] **دباغة الجلود وصناعة المواد المتعلقة بها**، مرجع سابق، ص9.

[2] الكبرش أو الكبراشو: وهو التين الهندي.

[3] تكاوت نبات يستعمل في الدباغة، اسمه العلمي Tamarix articulata.

والدباغة بهذه المواد، تستلزم اتباع الطريقة التالية:[1]

طـــريقة الـــدباغة بالـمواد الـــنباتية	
الـــعملية	الـــمواد
بشر الجلد	جير، رماد
Pelannage	جير
Déchaulage	نزع الجير
Conlitage	الحفظ
Pickalge	أحماض: مثل ملح الطعام.
الدبّغ	لحاء السنط، لحاء البلوك الفليني، لحاء الرمّان
الصباغة	زيوت: مثل زيت الزيتون.
التطعيم	لحاء الرمّان مثلا

2- الـــدبغ بالكروم[2] (Chrome): لقد عُرِفت الدباغة بالكروم منذ عهد مبكّر في القرن التاسع عشر، فعوضت هذه الطريقة عملية الدبغ بالمواد النباتية وأصبحت في أيّامنا الأكثر استعمالا، لأنّها تقلص من الزمن الذي تتطلبه عملية الدباغة. فإذا كانت الدباغة بالمواد النباتية تتطلب شهورا، وفي بعض الأحيان سنة إلى سنتين، فإنّ الدباغة بالكروم تتطلّب يوما أو يومين.[3]

إنّ الجلود المدبوغة بالكروم هي بالمقابلة مع الجلود المدبوغة بالنباتات رخوة وناعمة وقابلة للتمدد، وهي تميل أيضا لتصبح أكثر طراوة وليونة ممّا يجعلها مقاومة للاهتراء بالاحتكاك والثني، ولهذا تستعمل هذه الأنواع من الجلود في وجوه الأحذية والقفازات والملابس.

---

[1] Revne : Terre et Vie, N° 42 ; Mars 2000. Sevteur de la Tannerie au Maroc par Mohammed Marzak.

[2] الكروم مادة كيميائية، ورمزه Cr.

[3] ينظر: **دباغة الجلود وصناعة المواد المتعلقة بها**، مرجع سبق ذكره، ص9.

والدبّاغة بهذه المواد تستلزم اتباع الطريقة التالية:[1]

طـــــريقة الـــــدباغة بالـكروم والمواد الكيميائية	
الـــعملية	الـــمواد
بشر الجلد	الجير + سلفات الصوديوم
Pelannage	الجير
Déchaulage	كبريتات الأمونياك
Conlitage	Confil : Enzymatique
Pickalge	حمض الكبريتيك
الدبّغ	الكروم
Basification	بيكاربونات
صباغة + تطعيم	صباغ كيميائي + زيوت كيميائية

3- مـواد الـدبّغ الـمصنعة: الدبّاغ الاصطناعي خليط معقد جدا، تعتمد خصائصه على التوازن الكيميائي مع خواص المواد الغروية التي تحتويها الجلود. وهي تستعمل مع مواد دباغية أخرى لتعديل فعلها، كما أنّ لها استخدامات عديدة مساعدة لتقوية الجلود، ممّا يجعلها ضرورية لصنع منتوجات جيّدة، وكذلك إنتاج أنواع خاصة من الجلود تسمح بزخرفتها.[2]

ويمكن تصنيف المواد الدباغية المصنّعة حسب تركيبها الكيميائي واستعمالاتها الرئيسية إلى ثلاث مجموعات:[3]

- المواد الدباغية الصناعية المساعدة.
- المواد الدباغية الصناعية المركبة.
- المواد الدباغية الصناعية البديلة.

---

[1] Revne : Terre et Vie, N° 42 ; Mars 2000. Sevteur de la Tannerie au Maroc par Mohammed Marzak.

[2] ينظر : **دباغة الجلود وصناعة المواد المتعلقة بها**، مرجع سبق ذكره، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص 32 – 33.

وبغض النظر عن الخصائص الكيمائية لهذه الأصناف الثلاث، فإنّ لكلّ مادة من هذه المواد خصائص دباغية تعمل على تحسين صفات الجلد وضبط نظام الدباغة، ولهذا فهي تستعمل مع كلّ أصناف الجلود.

ولكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو: كيف تتم عملية الدباغة؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، لابد من الإشارة إلى أنّ المراجع التي تناولت طريقة دباغة الجلود في الجزائر قليلة جدا – إن لم نقل أنّها منعدمة –، لكن سبق وان ذكرنا بأنّ الطريقة المستعملة في المدابغ الجزائرية[1] هي الدباغة بالكروم، ولهذا فإنّنا سوف نتتبع أهم مراحلها إلى أن يصبح الجلد صالحا للصناعة.

إنّ الجلود تصل عادة للمدبغة وهي معالجة بالملح ولكنّها بتأثير الرطوبة التي تتراكم في أليافها (مكونات الجلد) تكون معرضة لنموّ البكتيريا والعفونة، ولذلك يجب التعجيل بمعالجتها باتباع العمليات التالية:

أولا: عـــمليات ما قـــبل الـدباغة (تهيئة مادة الجلد):

1- التمليح: كلّ الجلود التي تصل المدبغة تكون مطلية بالملح؛ لأنّ هذه المادة تحافظ على الجلد وتمنعه من الفساد وبالتالي تنجح عملية دباغته.

[1] تستعمل طريقة الدبغ بالكروم في مدابغ جيجل والعامرية بولاية وهران.

2- **تشذيب الجلد:** وأوّل خطوة بعد هذه العملية هي نفض الجلد بقوة لإزالة الماء والملح العالق به، ثم يُفرد بحيث تكون ناحية الشعر للأسفل، وعندئذ تُقص الزوائد مثل الذنب والرأس والأرجل والنواحي البارزة. ثمّ يُقلب الجلد بحيث يكون الجانب الذي به شعر للأعلى ويوضع بشكل طولي فوق لوح أو جذع خشبي ناعم. وعند ذلك يشق الجلد بواسطة سكين حادة من الرقبة حتى الذنب بشكل مستقيم وسط العمود الفقري إلى نصفين، والغرض من هذا الشق تسهيل عملية معالجة الجلد فيما بعد.

3- **الشطف والنقع:** يجب أن تنقع الجلود أو تغسل في أسطوانات دوّارة باستخدام بعض المواد، وذلك لإزالة الأوساخ والملح الزائد ولإعادة الجلد إلى طبيعته التي كان عليها بعد عملية السلخ.

4- **الحشو:** تتم عملية الحشو في دنّان قلاّبة تحتوي على مادة الجير التي تسرع من إزالة الشعر، والغرض من هذه العملية تطرية نسيج البشرة الدسم قبل عملية الدباغة.

5- **إزالة الشعر وتنظيفه قبل الدباغة:** يزال الشعر المتبقي بكشطه ميكانيكيا، ثمّ يتم عصره بآلات ظاغطة تزيل جذور الشعر الدهنية وغير ذلك.

6- **إزالة آثار الجير:** تغسل الجلود بالماء وبعض الأحماض الخفيفة، حتى تختفي كلّ آثار الجير.

7- **عملية التطرية:** وهي جعل ألياف الجلد مرنة لتقبل مواد الدباغة وإعطائه الخصائص المطلوبة عند عملية التشطيب والإتمام. والضبط الدقيق لهذه الوظائف يعطي الجلد مظهرًا جذابًا وملمسا مرغوبا وقوة ومرونة.

8- **التحميض:** وهذه آخر عملية تتم قبل المباشرة بالدباغة بالكروم، وتتم أولا لمنع الطبقة السطحية للجلد من الدبّغ بسرعة كبيرة.

ثـــانيا: عـملية الـدبغ وما يليها

1- **عملية الدّبغ:** وهنا يتحول الإهاب إلى جلد مدبوغ، بحيث يكون رطبا وأكثر قساوة.

2- **التشطيب والإتمام:** بعد دباغة الجلد يجب أن يمر بعمليات أخرى متمّمة حتّى يصبح جاهزا للاستعمال والبيع والتصدير. وتختلف طبيعة هذه المراحل حسب نوع الجلد المطلوب وهذه المراحل هي:

- **العصر:** والقصد منه إزالة السّائل من الجلود وجعلها ممطوطة ومشدودة، حيث تمرّر فوقها مصقلة من الوجهين.

- **الشق والتشريح:** تشقّ الجلود السميكة إلى شرائح حسب السمك المطلوب بآلات خاصة. أمّا الطبقة التي تحتوي على جرابات الشعر، فإنّها تكون رديئة بسبب احتوائها على آثارها لسعات الحشرات وندبات الخدوش.
- **إعادة الدبغ:** تتطلب بعض أنواع الجلود إعادة دبغها، فيكون ذلك باستعمال مواد الدبغ النباتية أو المصنّعة التي تجعل الجلد صالحا للاستعمال والتشكيل والصنع.
- **الصباغ:** وهو أنّ يعطى للجلد لون باستعمال أصباغ نباتية أو مصنّعة.

- **السوائل الدهنية:** يفرغ سائل الصباغ ويضاف إليه السائل الدهني. فهذه المعالجة تجدّد وتعيد الزيوت الدهنية الموجودة طبيعيا في الجلد والتي أزيلت خلال المراحل السابقة للدباغة. ويتألف السائل الدهني من زيوت مستعملة تعيد للجلد نعومته وطراوته ومرونته.

- **النشر والتجفيف:** تعلّق الجلود على حوامل في غرفة دافئة ويفضّل أن يتم التجفيف بواسطة مراوح كهربائية مولدة للهواء الساخن حتى تطرد جميع الرطوبة من الجلود.

- **التنعيم:** من المحتمل أن توجد بعض الأماكن تظهر جوانبها متكتلة أو تكون سماكتها غير متناسبة مع بقية السطح، ويمك إزالة هذه الكتل بواسطة آلة تدعى دولاب الصنفرة.

- **التشطيب النهائي:** وهي آخر عملية يخضع لها الجلد، حيث يستعمل في هذه المرحلة الطلاء لتخضيبه وصبغه وصقله وتلميعه.

نلاحظ ممّا سبق أنّ الجلود تمرّ بمراحل عديدة لدباغتها، ويمكن تحديدها في ثلاث مراحل كبرى:

- **مرحلة يكون فيها الجلد على اتصال دائم بالماء؛** حيث يتّم فيها البَشْرُ والشطف والنقع والغسل.
- **مرحلة تطرية الجلد ودبغه:** ويتم فيها العصر والتجفيف وتطرية الجلد.
- **مرحلة التشطيب:** وهنا يعطي للجلد طابعه التجاري من خلال صباغته وتلميعه.

وعلى هذا الأساس، تبقى الجلود غالية الثمن باعتبارها تتطلب وقتا ومجهوداً كبيرين تصنيعها، وهذا يفسّر غلاء المنتوجات الجلدية المصنوعة من الجلد الطبيعي.

وفي الأخير، تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الصناعة – الدبّاغة – بقدر ما لها من ميزات إنتاجية واقتصادية، بقدر ما لها من آثار سلبية على المحيط والبيئة، فهي تلوّث المجاري المائية إذا ما لقيت نفاياتها بدون آية معالجة مسبقة؛ إذ أنّها ترمي كميات كبيرة من المواد، منها ما ينحل بسرعة مثل الدهنيات (الشحم) ومنا ما يطول انحلاله مثل الشعر ومواد سامّة أخطرها "الكروم" المستعمل بكثرة في دباغة الجلود. ولهذا تقوم بعض البلدان المتقدمة بتصدير منتوجها نصف المصنع إلى بلدان فقيرة أو سائرة في النموّ لدبغه بأقل تكلفة ممكنة، والأهمّ من ذلك هو إبعاد خطر التلوث البيئي.

وقد وجدت الكثير من الدول حلاّ لهذا المشكل، إذا أن البعض منها يقوم – كإجراء أولي– بمعالجة المياه التي تطرحها المدابغ في مصانع أنشأت خصيصا لذلك على الرغم من ارتفاع تكاليف بنائها وتجهيزها.

المطلب الثالث: صباغة الجلود:

لقد عني الصينيون والهنود والفرس بصناعة الأصباغ لما لها من أهمية في كثير من المجالات الحياتية، والمسلمون كذلك استخدموا الأصبغة في تلوين منسوجاتهم وزرابيهم بالإضافة إلى الأواني الخزفية والزجاجية والقاشاني والفسيفساء والزخارف الجصية والكتابية والمصنوعات الجلدية على وجه الخصوص.[1]

وقد كان للتقدم العلمي الذي توصل إليه المسلمون وخاصة في العلوم الكيميائية أثر كبير في تطور صناعة الأصباغ. فالأصباغ على أنواع كثيرة منها المائية والفلزية والمستخرجة من مصادر طبيعية وأغلب هذه الصبغات مركبات فلزية، وبعض هذه الصبغات توجد في التربة والصخور وهناك صبغات مأخوذة من مواد نباتية مثل الذيلة التي يستخرج منها اللون الأزرق وقشور الرمان ونبتة الحنّاء التي يستخرج منها اللون الأصفر الأشقر. أو مواد حيوانية كالقرمز الذي يعطي اللون القرمزي، وهنا صبغات تؤخذ من قطران الفحم وهي ذات اللون الأسود. أمّا صباغ اللك فيحضّر من عدّة مواد.

وعلى تعرف الصبغة على أنّها "عبارة عن مادة ملونة تستخدم مُذابة لتلوين الأجسام المختلفة، وهي تختلف عن المسحوق الملوّن الذي يضاف إلى الوسيط أو المادة الرابطة ويكون ملوّنا يغطي سطح الجسم"[2]. وحتّى تكون عملية الصباغة ناجحة فإنّه ينبغي استعمال الصبغة بكمية مقدرة ومحدّدة بدقة، وبعد هذه العملية تبدأ عملية تليين الجلد وترطيبه وتمليسه، وقد استعمل الحرفيون في ذلك الزيوت كزيت الزيتون.

وللأصبغة دورا ذو أهمية كبيرة في مجال تسويق المنتوج الجلدي؛ إذ أنّها تجعله اكثر جمالا وزينة، كما أنّها تعمل على حفظ طبقة الجلد السطحية من مؤثرات الرطوبة والحرارة من خلال غلق المسامات الموجودة في الجزئيات الجلدية وبذلك يحفظ الجلد من المؤثرات الطبيعية.

وعلى ضوء ما تقدّم، لابدّ أن ننوه بالدور الذي يلعبه اللون في تسويق جميع المنتوجات وعلى وجه الخصوص المشغولات الجلدية، فإلى جانب التنوع الذي طرأ على هذا المنتوج، فإنّ

---

[1] فوزي سالم عفيفي، **نشأة الزخرفة وقيمتها ومجالاتها**، مراجعة الدكتور مصطفى عبد الرحيم، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ / 1997، ص149.

[2] عنايات مهدي، **فن الزخرفة على الجلد**، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1991، ص10.

الألوان كذلك قد تعدّدت أصنافها بحيث أصبح المستهلك في حيرة من امره لاختيار ما يناسبه من بضاعة ولون. ولكن بالرغم من ذلك، فإنّ تعدّد الألوان جعل المنتوج الجلدي العصري – وخاصة في البلدان الأجنبية – سريع التسويق والتصدير.

الفصل الثاني

الصناعات التقليدية

المبحث الأول: المنتوجات الجلدية القديمة

مدخل:

تعدّ الصناعة الجلدية إحدى الصناعات التي وسعها الفضاء الحرفي التلمساني. فبعد دباغة الجلود وجعلها صالحة للاستعمال تُصنع منها أشياء عديدة ومتنّوعة يُستفاد منها بالدرجة الأولى لأغراض نفعية كالأحذية مثلا، وأخرى للزينة والزخرفة كالمفروشات والوسائد الجلدية، بالإضافة إلى صناعة سروج الخيل وركائبها وتجليد الكتب.

وما يدلّ على انتشار المنتوجات الجلدية في السنوات الماضية – في تلمسان – وجود عدد كبير من التجار الذين كانت لهم شهرة كبيرة في مختلف أنواع المصنوعات، وخاصة الجلدية.

المطلب الأول: أهم المنتوجات الجلدية القديمة

من أهمّ المصنوعات الجلدية التي اهتم الحرفيون في تلمسان بصناعتها منذ زمن بعيد، وكانت سببا في شهرة المدينة في وقت من الأوقات:

أولا: البلّغة (Babouche):

من بين المصنوعات الجلدية التي اشتهرت بها مدينة تلمسان والتي تكاد اليوم تندثر بحكم الإهمال وعدم الاهتمام بها صناعة البلاغي. ولقد عرفت هذه الصناعة في التسعينيات ازدهارا كبيرا وشهرة تعدّت حدود البلاد لما تتميّز به من جودة ودقة من حيث تصميمها وطرزها. ففي ماض ليس بالبعيد كان أهل تلمسان من شيوخ وشبّان وأطفال يرتدون في المناسبات والأعراس الألبسة التقليدية التي تزيّنها البلغة فتزيدها جمالاً ورونقا.

وهكذا تعدّ "البلغة" من العناصر التي تميّز اللباس التقليدي التلمساني، فَشَكْلها الكلاسيكي لم يتغيّر منذ زمن بعيد. فالبلغة الرجالية تكون عادة صفراء لدباغتها بلحاء الرمّان أو بيضاء[1]. وكلّ حرفيّي المدينة متفقين على أنّ البلغة التلمسانية تختلف عن البلغة المغربية (الفاسية) لأنّها ذات مقدّمة (Pointe) دائرية بخلاف الفاسية التي مقدّمتها مدبّبة (Pointue)، ولكن تأثرهم واحتكاكهم بالحرفيين المغاربة أدّى بهم إلى صناعة هذا النوع من البلاغي وشاع استعمالها بالمدينة.

[1] وقد تكون بألوان أخرى. لكن البلغة الصفراء والبيضاء هي الأكثر استعمالا.

وتجدر الإشارة إلى أنّ يطلق على بلغة تلمسان "البورية" نسبة إلى عائلة "البوري" المعروفة بصنع البلاغي، فهي قد توارثت هذه الحرفة جيلا بعد جيل.

وترتكز تقنية صناعة "البلغة" على مهارة الحرفي بالدرجة الأولى، لأنّ إنجازها يتطلّب الدقة والإتقان. كما أنّ صعوبة استعمال الجلد الأصفر[1] القابل للاتّساخ تحتّم على الحرفي أن يأخذ الوقت الكافي لصنع البلغة؛ لأنّه يصعب إزالة الأوساخ من هذا النوع من الجلود. ولهذا لابدّ للحرفي في أن يحرس على بقاء يديه نظيفتين طوال مدّة الصّنع.

يصنع الجزء العلوي من البلغة من جلد الماعز المدبوغ بلحاء الرمّان، أمّا الجزء السفلي الملامس مباشرة للأرض فهو مصنوع من جلد الأبقار.

يقوم الحرفي بتفصيل قطعتان مثلثتان من الجلد، سواء باستعمال مقياس يكون عادة من الورق المقوّى، تُخاط هاتين القطعتين بثلاثة خيوط مختلفة: خيط من النيلون ممزوج بخيط من الحرير لضمان الخياطة المتينة، ثمّ خيط آخر من الحرير وهو الوحيد الذي يبقى ظاهرًا في النهاية. وأخيرًا تُلصق هاتان القطعتين مع الجزء السفلي بواسطة قطعة من الجلد وبطريقة يُتقنها الحِرفي.

أمّا الجزء السفلي من البلغة فهو مكون من عدّة عناصر، فالقطع العليا منه (الورق وجلد الماعز) تُخاط لوحدها ثمّ تُلصق بالقطعة السفلى التي هي من جلد الأبقار. أمّا آثار الخياطة التي تظهر عند الانتهاء من الصّنع نتيجة إلصاق القطع مع بعضها فيتم إخفاؤها بصقلها بمادة الصابون.

[1] وتستعمل اليوم الجلود الاصطناعية في صنع البلغة.

وأخيرًا يقوم الحرفي بتشكيل منتوجه باستعمال القالب الذي يدخله في البلغة، بحيث يبقيها لمدّة من الزمن إلى أن تأخذ شكلها النهائي الكلاسيكي. أمّا الأدوات المستعملة في صنعها، فهي أدوات بسيطة تحتاج فقط لليد الماهرة التي تُحسن استخدامها.

والملفت للانتباه أنّ طغيان الجلد الاصطناعي على الصناعة الجلدية قد أصاب حتّى البلغة، إذ أنّ المتجوّل في محلاّت بيع الأحذية بوسط المدينة يَلْحظ أنواعا عديدة من البلاغي فقد تفنّن الحرفيون في صنعها؛ حيث الطلب عليها مرتفع جدّا لأنّ أسعارها منخفضة مقارنة بتلك المصنوعة من الجلد الطبيعي. لكنّ هذا لا يعني أنّ صناعة البلغة التقليدية فقد توقفت، فلا يزال يسهر بعض الحرفيين على انتاجها رغم نقص الطلب عليها.

ثانيا: الـوسائد الجلدية (Poufs):

تعدّ الوسائد الجلدية من المنتوجات التي اشتهرت بها بلاد المغرب[1]، فهي من العناصر الأساسية التي تميّز الصالونات التقليدية للمنازل التلمسانية، لأنّها ذات ألوان زاهية وجذابة، فقد تكون مصنوعة من لون واحد أو مزيج متناسق من الألوان. كما أنّها على أشكال مختلفة، فمنها المربّعة والمستطيلة والأسطوانية.

ومن خصوصيات هذه الوسائد أنّها كانت تخاط، من بداية الصنع إلى اكتمال المنتوج باليدين، إلاّ أنّ الحرفيين أصبحوا – في الآونة الأخيرة – يخيطون كلّ الأجزاء بآلة الخياطة من أجل ربح الوقت وإنتاج كميات أكبر، ما عدا الوجه العلوي الذي يدخل في صناعته أجزاء كثيرة،

[1] ينظر: فوزي سالم عفيفي، **نشأة الزخرفة وقيمتها ومجالاتها**، مرجع سابق، ص150.

ولهذا فمعظم الحرفيين يستعينون بالنساء في تحضير هذا الجزء المهم من الوسائد. كما أنّها تُطرز بخيوط من الحرير أو قطع من الجلد الملوّن.

فالحرفي يعبّر عن إبداعاته ومهاراته الفنية من خلال التنويع في زخرفة وتزيين هذه المصنوعات الجلدية؛ فالأشكال الزخرفية التي نجدها في الجزء العلوي[1] تكون عادة مطروزة، وتلك الموجودة في الأجزاء الجانبية تُزخرف باستعمال جلود ذات ألوان مختلفة.

ولأنّ طريقة الزخرفة هذه تتطلب وقتا كبيرًا، فقد اتخذ الحرفيون أسلوبا آخر في التنميق والتزويق، فاستعملوا أولا الضغط بالتسخين (Fer compression au petit) ثمّ الخاتم أو الطابع (Poinçon) سواء المحفورة بنقوش غائرة (en creux poinçon gravé) أو بارزة (en relief)، ثمّ استخدمت الصفائح المنقوشة على شاكلة قوالب (Estampage au balancier) لأنّها تسمح بطبع أشكال وزخارف كبيرة، وبسرعة فائقة، ومن ثمّ تنقص تكلفة المنتوج الجلدي.[2]

وهنالك طريقة أخرى أصبحت كثيرة الاستعمال في تلمسان من طرف الخرفيين القلائل الذين تعدّهم المدينة، فهم يُزخرفون منتوجاتهم عن طريق الطباعة بالطلاء (Sérigraphie) مستعملين في ذلك نماذج جاهزة (cliché). وهي طريقة سهلة وسريعة تسمح بالتنويع في الزخرفة وربح الوقت بالدرجة الأولى، إلاّ أنّ من عيوبها أنّها تستعمل فوق الجلد الاصطناعي فقط، وأنّها تنمحي بسرعة عن طريق اللمس المتكرّر أو المؤثرات الطبيعية.

تُصنع الوسائد الصغيرة الحجم من جلد الماعز، ولكن في حالة عدم توفره يعمد الحرفي إلى إنجازها من جلود الأبقار والغنم، أمّا الأدوات التي تستعمل في هذا النشاط[3] تبقى في غاية البساطة، فمهارات الحرفي في استخدامها هي أساس هذه الصناعة.

وتقنية صنع هذه الوسائد تتم أوّلا برسم أشكال مختلفة على الجلد باستعمال أداة تسمى البيكار (compas)، ثمّ تُقصّ هذه الأشكال بطريقة محكمة يُراعي فيها الحرفي الاستغلال الأمثل لمادة الجلد حتّى لا يُضيع منها الكثير. ثمّ تُهيأ وتحضّر كلّ قطعة – الجزء العلوي دائري أو مربّع، الجزء السفلي، الجوانب – على حدة، ثمّ تُخاط هذه القطع الجلدية مع بعضها، حيث يُترك في

---

[1] الجزء (الوجه) العلوي: يسمّى عند عامة الحرفيين بـ **"الصارمة"**.

[2] Henri MAYEUX ; **La Composition décorative**, A. quantin Editeur, 1884, p273 – 274.

[3] أختام وقوالب وإبرة كبيرة وسكاكين خاصة وأحجار للصقل وفرشاة تكون عادة من شعر الماعز.

الجزء السفلي تجويف يسمح بحشو الوسادة (بالصوف مثلا) وتُغلق برباط. أمّا ما يتبقى من الجلد (الجلد الضائع) يستخدمها الحرفي في صنع منتوجات صغيرة الحجم تصلح للتزيين أو الإهداء أكثر من صلاحيتها للاستعمال.

بـــعض الأدوات المستعملة في الصناعة الجلدية

ثالثا: مـنتوجات جلدية أخرى

تضمّ الصناعة الجلدية عدة نشاطات مهنية تختص بإنتاج أنواع مختلفة ومتنوعة من البضائع تستمد وجودها من أيادي بارعة بلا حدود ومن تصوّرات ذكية وخيال رفيع وتقليد مبدع، من أهمّها الأحذية والحقائب والمحافظ والأحزمة وسروج الخيل، بالإضافة إلى صناعة تجليد الكتب وغير ذلك من المنتوجات.

1- تـــجليد الـكتب

فهي حرفة ضاربة في عمق التاريخ؛ حيث كانت لها خصائصها وطابعها التقليدي الذي كان يتواءم مع إمكانيات تلك المرحلة، فقد كانت تستخدم الجلود لتجليد الكتب والمؤلفات التي كانت مقطّعة أو مهترئة، ليقوم الحرفي الماهر بترميمها وإعادتها كالجديدة.

ولقد عرف العرب هذه الصناعة منذ زمن بعيد، فقد أولى المسلمون عناية واهتماما كبيرين لهذا الفنّ، حيث عَمَدوا أولا إلى تجليد المصحف الشريف والتفنّن في زخرفته لما لهذا الكتاب من أهمية روحية وعقائدية، وثانيا كُتب الفقه ثمّ تليها أصناف أخرى في شتى

ميادين العلم. "ونتيجة لنهضة فن الكتاب تطوّرت صناعة التجليد عند المسلمين بحيث أصبح لها شكل مميّز منذ القرن السابع هجري".[1]

وقد اعتبر "عمل المجلّد متمّما لعمل الخطاط، إذ وقعت عليه مسؤولية حفظ أوراق الكتاب من التلف والعناية بمظهره الخارجي بحيث يتلاءم مع قيمة الكتاب ومحتوياته. كما وقعت عليه زخرفة جلد الكتاب ولسانه[2] بل تعدّتها إلى باطن الغلاف وقسمًا من أوراقه"[3]. وقد كانت "طريقة اللسان في التجليد العربي الذي غايته حماية الأطراف الأمامية للكتاب معروفة قبل الإسلام وبدايته"[4].

ولقد انتقل أسلوب تجليد الكتب العربي إلى المغرب، ثمّ إلى إسبانيا وإلى إيطاليا عن طريق التجارة المغربية عبر صقلية؛ حيث "نجد في صناعة التجليد الأوروبية المختلفة كثيرًا من لمسات الصناعة العربية وزخارفها"، و "يعترف جملة من المستشرقين بالتحسينات الفنية في صناعة التجليد الأوروبية التي تعلّموها عن العرب، واشتملت هذه التحسينات على إحلال الورق المقوّى محلّ الخشب كمادة داخلية لجلد الكتب والكتابة المذهبّة على الجلد بواسطة أداة محماة"[5].

وأوّل تجليد استعمل فيه التذهيب في الغرب يرجع تاريخه إلى عام 1256م[6]، وهذا ما يبيّن بأنّ العرب كانوا السبّاقين في هذه الصناعة.

---

(1) فوزي سالم عفيفي، **نشأة الزخرفة وقيمتها ومجالاتها**، مرجع سابق، ص150.

(2) لا يزال الأوروبيون يستعملون هذه الطريقة في تجليد مؤلفاتهم.

(3) فوزي سالم عفيفي، المرجع نفسه، ص150.

(4) محمد حسين جودي، **ابتكارات العرب في الفنون وأثرها في الفن الأوروبي في القرون الوسطى**، دار المسيرة، 2007، ص37.

(5) المرجع نفسه، ص64.

(6) المرجع نفسه، ص37.

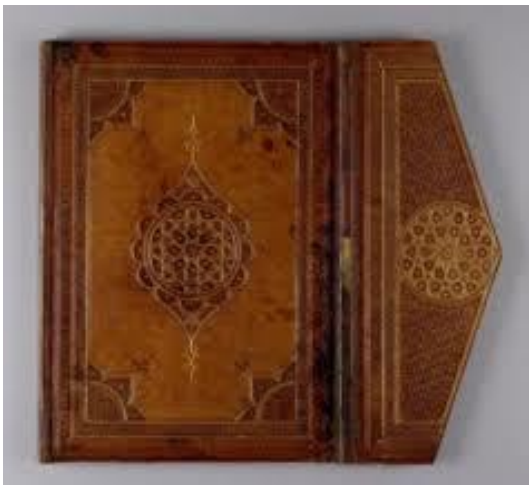

فتجليد الكتب إذن، هو **"عملية فنية تقنية تجري بهدف تماسك الصفحات مع بعضها البعض، ومن ثمّ حمايتها وحفظها لكي تبقى على شكلها الأصلي"**[1] بواسطة غطاء من الجلد. وهذا ما يفسّر بقاء المخطوطات العديدة التي يُحتفظ بها في المكتبات العامة، وقد نعثر عليها في مكتبات خاصة عند بعض العائلات التلمسانية التي توارثتها جيلا بعد جيل.

والملفت للانتباه أنّه على الرغم من تواجد هذه المخطوطات إلاّ أنّ الشيء الملاحظ هو أنّني لم أعثر في مدينة تلمسان على حرفيين يمارسون مهنة تجليد الكتب بالطريقة التقليدية، لكنّني وجدت بعض الأشخاص – ولا أسمّيهم حرفيين – أكثرهم يشتغل بالمكتبات والمطبعات يقومون ببعض المحاولات للتجليد ولكنّها – في رأيي – إنّها غير ناجحة ولا تمتُّ بأية صلة لفنّ التجليد الأصيل؛ لأنّ التقنية المستعملة يغلب عليها الطابع التجاري على حساب الطابع الفني، هذا إذا علمنا أنّ الحرفي – قديما – كان يستغرق في بعض الأصناف من الكتب أيّاما عديدة لتجليد كتاب واحد فقط حرصا منه على الإتقان والإبداع.

أمّا عن نوعية الجلد الذي يستخدمه هؤلاء الأشخاص، فهو من النوع المصنّع لأنّه رخيص الثمن، الشيء الذي يسمح لهم بالحصول على أرباح كبيرة، وقد يعمدون إلى زخرفة هذه الكتب فيستعملون أيضا طريقة سهلة وغير مكلفة – سبقت الإشارة إليها – وهي طريقة الطبع بالطلاء، ولكن هنا من يستخدم طريقة الزخرفة بالتذهيب مستعملا في ذلك الأوراق الذهبية، ويتم ذلك بضغطها أو باستخدام أداة محمّاة.

---

[1] بو سليم صالح، **الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكلت – صناعة الفخار والجلود نموذجا –**، مرجع سابق، ص87.

وفي الأخير، تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الصناعة هي في طريق الاندثار بالمدينة، وأنصح الشباب بتعلم هذه الحرفة للمحافظ عليها؛ لأنّه بدون أن تنقل فإنّها لن تصل للأجيال القادمة.

2- صـناعة ســروج الـخيل:

كانت الأحصنة العربية في الماضي تُجهز بأفضل الأدوات وأجمل المعدات في المناسبات الرسمية وغير الرسمية والأعياد الوطنية وحفلات الزواج، حيث تظهر الخيل في أبهى حلّة وهي تؤدي العروض الجميلة، ويمتطي الرجال ظهورها، وهم يرتدون ملابس الفروسية.

ومن المعدّات الأساسية التي تُجهّز بها الأحصنة السروج، فهي صناعة اشتهرت بها مدينة تلمسان منذ زمن بعيد، فكان النّاس يأتون من المدن المجاورة او البعيدة لاقتنائها.

وتُصنع هذه السروج يدويا من قبل حرفيين مهرّة؛ ثمّ تُطرز بالخيوط الذهبية والفضية التي تزيدها جمالا ورونقا فتكون موضعا للتباهي عند الفرسان وحتّى عند الفرسان وحتّى عند الحرفيين السرّاجين أنفسهم.

وتجدر الإشارة على انّ السّروج ثلاثة أنواع: السرج الكبير والسرج المتوسط والسرج الصغير، مع الإشارة إلى أنّ السّرج المستعمل في تلمسان هو من النوع المتوسط. وأنّ تركيب سرج الفرس معقّد لأنّه يتكون من هيكل خشبي (القربوس) ويسمّيها السرّاجون (العظمة) مغطّى بجلد مجفّف ثمّ يغطّيه غطاء جلدي تليه زربية جلدية أو قماشية ثمّ غطاء ثالث، إلى جانب اللجام واللّبان والوضين المنسوج من الصوف والمكسو بجلد الظان، فضلا عن لوازم الفارس من جزمة ونطاف ومظل وجراب وجعبة، ...الخ.[1]

[1] محمد تروزين، **صناعة المضفرات والمنسوجات الحلفاوية بالمنطقة السهبية من دائرة سيدو بولاية تلمسان**، مرجع سابق، ص14.

ولكن بمرور الزمن تناقص استعمال الأحصنة ولم تعد لها نفس الأهمية التي كانت تحظى بها قديما، ولهذا السبب تناقص عدد الحرفيين التقليديين القائمين على صناعة السرّوج، إذ أنّ المدينة تُعدُّ سراجا واحدًا ورث الحرفة عن أبيه وهو صاري فتحي.

الـمطلب الـثاني: عوامل ازدهار الصناعة الجلدية

عرفت الصناعة الجلدية في تلمسان فترة طويلة من الرقيّ والازدهار لتضافر عدّة عوامل كانت سببا في انتشار منتوجاتها على اختلاف أنواعها. وقد سبق أن بيّنت ذلك من خلال المراحل التاريخية التي مرّت بها الصناعات التقليدية في هذه المدينة.

اشتهرت تلمسان بالصناعة الجلدية كمادّة اوّلية أو منتوج نهائي، فجلودها على اختلاف أنواعها كانت معروفة في إفريقيا وفي بلدان أخرى بسبب القوافل التي كانت تأتي إلى المدينة محمّلة بالبضائع فيبيع أصحابها بضاعتهم في أسواق المدينة ويشترون سلع أخرى – من بينها الجلود – لتسويقها في مدن وبلدان أخرى، وهذا ما يُبرز أنّ تلمسان كانت تتمتع باكتفاء ذاتي في كثير من المنتوجات.

ومن العوامل ذات الأهمية الكبيرة التي أدّت إلى ازدهار الصناعة التقليدية بتلمسان وخاصة الصناعة الجلدية:[1]

1- **موقعها الجغرافي المتميز**: الذي بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى جعل منها – في عهود سابقة – مركزًا تجاريًا هامًا في إفريقيا، الأمر الذي أدّى إلى تطوّر المبادلات التجارية، ومن ثمّ ازدهرت الصناعات التقليدية. وقد بقيت على تلك الحال لحقب طويلة إلى فترة الاستعمار الأجنبي في كامل البلدان الإفريقية والذي كان

[1] أوراغي أحمد، **الاستهلاك الثقافي في مدينة تلمسان**، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، 2000، ص 140 – 141.

يحاول طمس المعالم الحرفية الأصيلة؛ لأنّه كان يؤمن بأنّها إحدى الدّعائم الرئيسية لاستمرار الثقافة والحفاظ عليها.

2- **نمط المعيشة:** كان المجتمع التلمساني كباقي المجتمعات الأخرى في إفريقيا يعيش حياة بسيطة كانت تستدعي استعمال أدوات ولوازم تقليدية، وتُلزم الفرد في بعض الأحيان على صنع ما يحتاجه بنفسه، فالطبيعة كانت توفّر له كلّ ما يحتاجه من مواد لتلبية رغباته.

3- **الحفاظ على التراث:** وهو ما أسمّيه بالجانب الروحي، فالحرفي الأصيل كان دائما متعلقا بحرفته وبعمله؛ فهو يؤمن بالرسالة "التي يجب عليه تبليغها للأجيال وتأدية دوره في المجتمع وصياغة مستقبل يرتبط بالماضي ويحكم العقل لضمان رهانات المستقبل التي لا تنسلخ عن جذور الثقافة ورواسب الحضارات المندثرة"، وعلى ذلك يعدّ الإنتاج الحرفي حلقة أساسية في ربط الماضي بالمستقبل مرورًا بالحاضر في بناء القيم والمعايير الحضارية.

وعلى هذا، فإنّ ازدهار الصناعات التقليدية والجلدية على الخصوص إنّما يرجع أساسا إلى تمسّك الحرفي بحرفته لحقب طويلة على الرغم من كلّ ما عاناه من مشاكل وعقبات، ثمّ لإيمانه بالصّلة الروحية التي تربطه مع الثقافة، تلك الصلة البعيدة عن المصالح المادية المتمثّلة في تحقيق الربح والثراء.

4- **دُورُ الدّبــاغة:** يرجع ازدهار الصناعة الجلدية في تلمسان أيضا إلى انتشار دور الدباغة التقليدية بالمدينة، إذ أنّه كان يتواجد بالمدينة أربعة مدابغ حيث كانت تنتج كميات كبيرة من الجلود وتمّون بها كلّ الحرفيين من بلغاجيين وسرّاجين، فتوفر مادة الجلد بكثرة من شأنه تشجيع الصناعة نفسها.

5- **الــسياحة:** ومن العوامل الأخرى التي كانت طرفا في ازدهار الصناعة الجلدية – في السنوات الماضية – هو انتعاش السياحة. ولعلّ ما تزخر به تلمسان من آثار وأماكن تاريخية وسياحية كان سببا في توافد السيّاح على المدينة بأعداد كبيرة ومن مختلف البلدان كفرنسا وألمانيا وإيطاليا وغيرها، ومن ثمّ شهدت الصناعات التقليدية والجلدية على وجه الخصوص تطوّراً ملحوظا بشهادة أصحابها.

الـمطلب الـثالث: آفاق الـصناعات الجلدية

إذا أردنا أن نحصر الأسباب التي أدّت بالصناعة الجلدية في تلمسان إلى الركود، فلابدّ أن نقرنها بمجموع الصناعات التقليدية لأنّه تمرّ في أيّامنا بأزمة حادّة نتيجة تراكم عدّة عوامل لسنين طويلة، وقد أجبرت هذه الأزمة العديد من الحرفيين على غلق محلاتهم بسبب قلّة الطلب وعدم رواج منتوجاتهم في السوق، كما تسبّبت في هجرة بعض الحرفيين – وخاصة المتمرّسين منهم – إلى ممارسة أعمال أخرى تضمن لهم الاستقرار وخاصة دخلا دائما ومستمرا.

والجدول الموالي يبين ذلك من خلال عملية تشطيب الحرفيين من مركز السجل التجاري من سنة 1997 إلى 2000:[1]

السنة / النشاط	1997	1998	1999	2000	المجموع
الصناعات التقليدية	125	177	332	84	**718**

ومن خلال هذا الجدول، نلاحظ بأنّ الرقم الإجمالي للتشطيبات مرتفع جدّا وهذا ما يدعو إلى الحيرة والقلق وإلى التساؤل عن مستقبل الصناعة التقليدية بتلمسان.

امّا ركود الصناعة الجلدية على وجه الخصوص، فهو راجع أساسا إلى جملة من الأسباب من أهمّها:

1- **الجانب التكنولوجي:** لقد أحدث التقدّم التكنولوجي الذي حملته الثورة الصناعية تغييرًا كبيرًا في جميع مجالات الحياة، وخاصة الجانب الصناعي. إنّ ظهور المواد المصنّعة كالألمنيوم والبلاستيك وغيرها من المواد التعويضية (Substituts) ووسائل الإنتاج المتطورة من آلات وأدوات ميكانيكية وطرق علمية حديثة في تسويق المنتوج وشهرته، أثرت بالضرورة على عدّة نشاطات من الصناعة التقليدية التي أصبحت تصطدم بواقع الصناعات الحديثة التي يغلب عليها لون المعاصرة وتأثير الغزو الثقافي وملامح التقليد لمجتمعات وثقافات غربية دخيلة.

[1] **Monographie de la Wilaya TLEMCEN** : wilaya de Tlemcen ; Direction de la Planification et de l'Aménaement du Territoire ; juin 2001, P59.

2- **الجانب الاقتصادي:** ظلّت الصناعة الجلدية لمدّة طويلة شأنها في ذلك شأن باقي الحرف الأخرى نشاطا تقليديا يطغى عليه الطابع الفني الثقافي، الشيء الذي أدّى إلى إغفال دورها في المجال الاقتصادي، فلو أعطيت لها العناية الكافية لكانت إحدى الصناعات التي يُعتمد عليها لجلب الأموال والعملات.

ولعلّ هذا من الأخطاء التي وقع فيها المسؤولون والساهرون عليها لفترة طويلة من الزمن أفقدها مركزيتها وأهميتها الاقتصادية. وبالمقابل، فإنّ هذه الصناعة تشهد تطوّرًا كبيرا في عدد من البلدان العربية كالمغرب وتونس وعمّان والبحرين وغيرها.

3- **الـجانب الوظيفي:** إنّ قلة الاهتمام والعناية بهذه الصناعة لسنين طويلة أدّى حتما إلى تخلّي الحرفيين عن ممارستها، ومن ثمّ إلى تناقص عددهم في السوق المحليّة؛ حيث أصبحت ديمومة ممارسة إحدى الصناعات التقليدية والصناعة الجلدية على وجه الخصوص من الأمور الصعبة تحقيقها. ولم يُلاحظ هذا النقص إلاّ في السنوات الأخيرة، فالجهات الوصية قد فطنت لذلك وهي تحاول تدارك هذا العجز بكلّ ما لديها من إمكانيات ووسائل.

والملفت للانتباه ان هذا القطاع يُعدُّ عددا قليلا من المناصب الدائمة مقارنة بميادين أخرى، إذ أنّ الكثير من الحرفيين مرغمون على مزاولة اعمال أخرى لا علاقة لها بعالم الحرف، حتّى يتمكنّوا من تلبية حاجاتهم العائلية اليومية، كما أنّ الدخل المتوسّط لهؤلاء الحرفيين يتموقع في أسفل سلّم المداخيل، وقد تأكدت من ذلك من خلال الزيارات الميدانية التي قمت بها لبعض الحرفيين.

كما أنّ عزوف الشباب عن ممارسة إحدى الصناعات التقليدية ومن جملتها الصناعة الجلدية يُعدُّ من الأسباب التي كانت من وراء ركود وتقهقر هذه الأخيرة؛ فشباب اليوم يُدرك بأنّ تعلّمها يتطلّب وقتا طويلا وأنّ فرصة الحصول على منصب عمل دائم في هذا المجال من الأمور المستحيلة، فهُم إذن يَعمدون إلى ممارسة نشاطات حرة (كبيع السجائر في الطرقات مثلا) لا تمتُ بأيّة صلة للموروث الثقافي والحضاري والتاريخي لمدينة تلمسان، إنّها أعمال تضمن لهم في كثير من الأحيان أرباحاً سريعة، ولكنّها تبقى – في رأيي – تجارة مؤقتة.

4- **الـجانب المعرفي:** لقد بقيت هذه الصناعة حكرًا لسنوات عديدة على فئة معيّنة من المجتمع وهي فئة الشيوخ نساءً أو رجالا، فذهابهم أحدث اختلالا كبيرًا في الوسط الحرفي؛ حيث يقرُّ معظم الحرفيون بأنّ اختفاؤهم كان سببا في ضياع نسبة عالية من تقنيات الصنع القديمة، الأمر الذي أدّى – بمرور الوقت – إلى تدنّي نوعية المنتوج من حيث جودته ومن ثمّ قلّة الطلب عليه.

وفي مقابل ذلك، نجد بأنّ استمرارية النزعة المحافظة على أسرار تقنيات الصنع في أوساط بعض الحرفيين هي من دون أيّ شك إحدى العوامل التي عملت على ركود الصناعة الجلدية في تلمسان، إذ أنّ القليل منهم من يريد نقل هذه التقنيات إلى غيره وكأنّهم يريدون ذلك ضمان بقائهم في السوق من جهة وحتّى لا ينافسهم أحد في الصنعة من جهة أخرى.

5- **الـمنافسة الحـادة:** أصبح لهذه الظاهرة في الوقت الراهن وزن كبير في عالم المبادلات التجارية، وقد عانت الصناعة الجلدية منها بسبب اختراق المنتوجات الجنبية – بكلّ ما تحمله من صفات العصرنة – الأسواق المحلّية وحتّى الوطنية بكميات كبيرة وأثمان رخيصة يتقبلها كلّ النّاس.

وهكذا أصبح المنتوج المحلّي في موقع ضعف، لعدم وجود دراسات ميدانية تبحث في مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع التلمساني وخاصة في المجال الثقافي، فلا يخفى على أحد أنَّ **"رواج صناعة دون أخرى يعود أساسا إلى التكوين الثقافي للمجتمع ودور المعايير الثقافية في تركيزه وتدعيمه من خلال اقتنائه وترويجه أو استهلاكه أو مقاطعته والنفور منه تعبيرًا عن عدم مسايرته للمعايير السارية"**[1]. فالضعف هو لا يمكنه منافسة هذه المنتوجات المصنوعة من مواد مصنّعة تقلّ من تكلفة السلع وأسعارها، وهذا سبب آخر لتدهور الصناعة الجلدية بمدينة تلمسان.

6- **الإعلام والإشهار:** انعدام قنوات الإعلام والإشهار المحلية المكتوبة والسمعية والمرئية التي تروج لمختلف المنتوجات الجلدية، لأنّ هذه الوسائل – كما هو معلوم – لها دور كبير في تغيير انطباعات وميولات المستهلك؛ إذ أنّها تؤثر بمرور الوقت على سلوكياته الشرائية وتعمل على توسيع السوق وتشجّع المبيعات وتُحفّز النّاس على الشراء.

---

[1] أوراغي أحمد، **الاستهلاك الثقافي في مدينة تلمسان**، مرجع سابق، ص142.

وقد تأثرت الصناعة الجلدية من هذا النقص الواضح في الوسائل الإعلامية والإشهارية المتخصصة، فغيابها أثّر سلباً على رواج منتوجاتها، ممّا أدّى إلى تراجعها يوما بعد يوم إلى أن وصلت إلى ما هي عليه من خمول وركود.

7- **مشاكل ما بعد التكوين المهني:** إنّ أغلبية الشباب – وإن لم نقل كلّهم – الذي سبق له وأن تابع تكوينا مهنيا في الصناعة الجلدية على مستوى مراكز التكوين المهني، قد واجهته مشاكل وصعوبات عديدة حالت بينهم وبين تحقيق هدفهم المتمثل بالدّرجة الأولى في فتح ورشة لحسابهم. ولهذا فهم في أمَس الحاجة إلى العناية والمتابعة الميدانية والمراقبة المستمرة وما ينجرّ عنها من رعاية وتنشيط وتشجيع وتوجيه، بعيدًا عن تلك النظرة الراسخة في أذهان بعض الأشخاص الذين يرون هذه الفئة من الحرفيين الجدد على أنّها فئة ثانوية في المجتمع بسبب فشلها في حياتها الدراسية.

8- **إنشاء التعاونيات الحرفية:** يعترف العديد من الحرفيون المتخرجون من مراكز التكوين من نقص إمكانياتهم المالية التي تسمح لهم بإنشاء مشروع حرفي؛ لأنّ معظمهم – وإن لم نقل كلّهم – من الطبقة الفقيرة. ولهذا، فالكثير منهم فكّر في إنشاء تعاونية حرفية في إطار برنامج تشغيل الشباب الذي يسمح بتقديم قروض (القرض المصغر مثلا) لأصحاب المشاريع، ولكن الأمر لم يتم بالسهولة التي يرغبون فيها، فالمشكل الذي واجههم هم أنّ هذا الجهاز لا يموّل المادة الأولية (الجلود) ولا تدخل ضمن مستلزمات المشروع. ولعلّ هذا من الأسباب التي أعجزت شبابنا وأدّت به إلى النفور من الاستثمار في مجال الصناعة الجلدية أو غيرها من الصناعات التقليدية.

9- **عدم التفكير في إحداق معامل و ورشات على مستوى أكبر:** إلى جانب تحديث وعصرنة المنتوج الجلدي المحلّي حتّى يُنافس السلع الأجنبية التي غزت أسواقنا، ولما لا وضع علامة تجارية جزائرية مثل ما هو معمول به في كثير من البلدان الأجنبية مثل هارمس Herms وبيار كار دين Pierre Cardin وحتّى في بلدان عربية.

كلّ هذه الأسباب مجتمعة تعاني منها الصناعات التقليدية والصناعة الجلدية على وجه الخصوص؛ فهي تعرقل إلى حدّ كبير السير الحسن لهذا القطاع، وإن لم تجد الحلول السريعة والتدابير الضرورية، فإنّ الكثير منها سوف يصبه الشلل ومن ثمّ الاندثار.

المبحث الثاني: النهوض بالصناعات الجلدية

مدخل:

لقد احتضنت مدينة تلمسان شطرًا معتبرًا من الحضارة الإنسانية منذ ميلادها في العصور القديمة، ومن كثرة ما تعاقبت المراحل الحضارية المختلفة على إقليم الولاية، بالإضافة إلى الآثار والمعالم العديدة الباقية هنا وهناك في ربوعها، فإنّ المجتمع التلمساني الحالي رغم خضوعه لسنة التغيّر ومُجاراته لمتطلبات العصر الحاضر ومُعايشته للواقع بواقعيته، أكسبته بالوراثة عن الماضي مهارات وخبرات وحرفا بالغة الأهمية (من الناحية التراثية خصوصا) في شتّى المجالات.

ولا يزال بعضها موجودًا ومحفوظا بتلقائية في نطاق الحياة الاجتماعية والاقتصادية القائمة، فيما آل البعض الآخر إلى الاضمحلال والزوال بفعل عوامل عديدة ذكرنا منها المبحث السابق.

وبهدف المحافظة على الحيّ من هذه الحرف، أو بالأحرى النهوض بها وترقيتها، وهذا ما أتوخّاهن ومحاولة بعث وتحريك ما تلاشى منها إذا أمكن ذلك سأورد لاحقا بعض الاقتراحات التي أراها ضرورية لإخراج الصناعات التقليدية من دوامة الفراغ الذي تعيشه.

المطلب الأول: عصرنة المنتوج الجلدي

ممّا لاشكّ فيه أنّ التطور العلمي والتكنولوجي أحدثا تغييرا في مختلف ميادين الإنتاج، فالتقدم الذي عرفته الصناعات الكيميائية منذ ظهور بذور الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان له أثره الإيجابي على الصناعات التحويلية، الشيء الذي أدّى إلى إنتاج عدد هائل من المنتوجات الاصطناعية والتركيبية كالألمنيوم والبلاستيك وأنواع الورق والجلود المصنّعة التي تشبه في كثير من الأحيان الجلود الطبيعية. وبمرور السنوات غزت هذه السلع الأسواق وأصبحت تستعمل لإنتاج كلّ كبيرة وصغيرة يحتاجها أفراد المجتمع، فحلّت محلّ المنتوج الطبيعي الجيّد الصنّع، وإن لم نلاحظ ذلك الفارق في بعض الأحيان.

وقد استغلّ غيرنا هذه المنتوجات الاصطناعية على نطاق واسع وفي ميادين شتّى، من بينها الدباغة وصناعة الجلود. ولقد تمكنّوا من تطويع هذه المادة فخلقوا منها فروعا إنتاجية قائمة بذاتها، وكلّ فرع منها مستقل عن الآخر بحيث يختص بإنتاج سلعة معينة. وقد توصّلتُ إلى حصر هذه الفروع في خمسة عشر فرعا:

Chaussures	**الأحذية النسائية والرجالية**
Vêtements en cuir	**الألبسة الجلدية**
Le sac pour dames	**حقائب النساء**
Articles de poche, le portefeuille	**منتوجات للجيب (محافظ)**
Articles de voyage	**منتوجات خاصة بالسفر**
L'attaché case, la serviette	**المحافظ**
Les articles scolaires	**اللوازم المدرسية**
Articles de bureau (sous – main)	**لوازم مكتبية**
Sellerie, harnachement	**السروج وركائبها**
Sacs de sport	**اللوازم الرياضية**
Articles pour chiens et chats	**لوازم الحيوانات (كلاب وقطط)**
Articles de pêche et chasse	**لوازم الصيد**
Articles de gainerie	**التنجيد**
Etuis et couvertures	**أغمدة وغلافات**
Ceintures	**أحزمة**

والملفت للانتباه أنّ بعض الحرفيين في تلمسان استهواهم الاقتباس والمحاكاة والتقليد لبعض من هذه الفروع، إلاّ أنّه عددهم لا يتعدّى أصابع اليد. فهم يعملون في منازلهم أو في ورشات خاصة يصعب على من لا يعرف المدينة إيجادها. وهنا معمل واحد بالمدينة متواجد بالمنطقة الصناعية (E.D.L.E.D سابقا) تحوّل مؤخرا إلى إنتاج بعض المصنوعات الجلدية وخاصة المحافظ النسائية، لأنّه من المعلوم أنّ هذا المنتوج كثير الاستعمال من طرف هذه الشريحة.

1- صـناعة الأحذية: إنّ ارتفاع المستوى الحياتي وتغيّر النمط المعيشي الذي شهده أفراده المجتمع التلمساني نتيجة تأثرهم بالثقافة الغربية كان له أثره البارز على عاداتهم الشرائية وسلوكهم في اقتناء حاجياتهم اليومية من ملابس وأحذية وغير ذلك.

لقد اكتسبت الأحذية في أيّامنا سلعا أهمية كبيرة لم تكن تحظى بها في القديم، حيث أصبح التفنّن في صناعتها أمرًا حتميا؛ ما دام المستهلك في بحث دائم عن الجديد. وهكذا أصبحت الأحذية منتوجا يغلب عليه طابع "الموضة" حيث تعدّدت الأنواع والأصناف وأصبح لكلّ صنف استعمال محدّد.

ومن هنا نلاحظ فارقا كبيرًا في الذوق يفصل بين المستهلك والمنتج، هذا الأخير الذي أصبح يُفضّل تخطِّي الطلب بإنتاج الكميات الكبيرة والأصناف المتنّوعة عِوض أن يُنتج حسب الطلبيات، وإذا ما تجوّلنا في أسواق المدينة، فإنّنا نعثر على أنواع مختلفة من الأحذية سواء الرجالية أم النسائية وهي في تجدّد وتغيّر دائمين تبعا للأذواق وتماشيا مع الفصول الأربعة.

ولكن يجب ألاّ تنحصر الأمور في عملية الإنتاج فقط، فالتسويق يلعب دورًا هامًا في أيّ صناعة من الصناعات، فمن الأجدر أن يواكب هذه العملية بحثٌ دائم عن قنوات البيع وتسويق المنتوج والتي بدونها لا يمكن الاستمرار في الإنتاج[1]، فعلى سبيل المثال يعرف تسويق الحذاء الرجالي في تلمسان في السنوات الأخيرة نوعا من الركود مقارنة بالحذاء النسائي، وهذا ما يلزمهم على بيعا في مدن بعيدة.

2- **الـمحافظ:** تنقسم إلى عدّة أنواع، فمنها المحافظ الخاصة بالجيب التي تدخل ضمن الصناعة الجلدية الصغيرة (Petite maroquinerie) والمحافظ النسائية ومحافظ السفر، بالإضافة إلى أصناف أخرى لها استعمالات متعدّدة كالمحافظ الإدارية والمدرسية والرياضية وغيرها.

[1] وهذا رأي كلّ الحرفيين الذي التقيت بهم على اختلاف اختصاصاتهم.

وإلى جانب هذه الأنواع من المحافظ، هناك نوع آخر لابدّ من إعطائه الأهمية التي يستحقها في السوق، فهو يتصّل أساسًا بصناعة محافظ السفر.

3- الـملابس الجلدية: شهدت هذه الصناعة تطوّرا كبيرًا في السنوات الأخيرة في عدّة بلدان أجنبية بسبب التقدّم التكنولوجي الذي أحرزته ومكنّها من إنتاج من البلدان إحدى الأسس التي يرتكز عليها اقتصادها، فهي في تطوّر دائم حيث تتماشى والتقدّم المعيشي للمجتمع.

والملفت للانتباه أنّ هذه الصناعة لم يُعطى لها حقّها في الجزائر وتلمسان خاصة، إذ أنّني لم أعثر على معمل واحد بالمدينة يختص بصناعة الملابس الجلدية، وهذا أمر مؤسف للغاية. فلماذا لا تفكّر الجهات الوصيّة الرسمية بإنشاء ولو معملا واحدًا لإنتاج بعض أصناف الملابس – ولا أقول كلّها – فتدعّم بذلك الاقتصاد المحلي ولما الاقتصاد الوطني، ومن ثمّ تكون تساهم في خلق مناصب شغل دائمة وتؤدي بالضرورة إلى امتصاص ولو نسبة قليلة من الشباب البطّال.

ومن بين المنتوجات الأخرى التي تدخل ضمن الصناعات الجلدية والتي لا تقل أهمية عن سابقاتها: **القفازات**، فهي لوحدها بإمكانها أن تشكّل فرعا من فروع الصناعة الجلدية. وللأسف الشديد، فإنّ أسواقنا إنّما تكثر بها السلع الجلدية المستوردة بكميات كبيرة وكأنّها تُنتج ببلادنا.

وبالإضافة إلى هذه المصنوعات هناك الأحزمة الجلدية التي أصبح لها بظهور عصر الموضة مكانة كبيرة ضمن مجموع الملبوسات، فهي تُهيكل اللباس على جسم حامله.

وتجدر الإشارة إلى أنّني لم أعثر بالمدينة على أيّ حرفي مُختص في صناعة الأحزمة الجلدية، وإن وُجِدَ فهو يعمل بعيدًا عن أعين النّاس دون أيّة وثيقة إدارية ترخِّص له ممارسة هذه الحرفة، فيكون ذلك إمّا في منزله أو بمحلّ متواجد في أزقة يصعب العثور عليه فيها.

هذه بعض المصنوعات الجلدية الحديثة وإن كانت في الأصل قديمة؛ لأنّ الإنسان القديم بدون شكّ قد استعملها ولكنّها كانت بسيطة لعدم تحكمّه في تقنيات الصنع وفي نقص الأدوات. وإذا استعمالها لم يتغيّر، فإنّ شكلها وحجمها وألوانها قد تغيّرت بفعل التحضّر والموضة، ففي الوقت الحاضر نشاهد تقدّما كبيرًا في المواد وتعدّدا واسعا في وسائل الإنتاج، الشيء الذي ساعد على تطوير الإنتاج وتحسين المنتوج.

وللأسف الشديد، عرفت كثير من البلدان كيف تستغل هذه المواد والوسائل بحيث وظّفتها في كلّ الصناعات ومن بينها الصناعة الجلدية، فاستطاعت أنّ تصنع أشياء قديمة بتقنيات حديثة لها مكانة مرموقة في العالم كلّه، وأقصد بذلك تلك المنتوجات الجلدية التي تُباع بأثمان باهضة تحت أسماء عالمية مشهورة يعرفها العامة والخاصة مثل:

Babybofte, Kickers Labelle, Adidas, SAC, Ted Lapidus, Rieeker, Geg-France, Sylvain-Lefèvre, été ….

الـمطلب الثاني: استغلال قطاع الصناعات الجلدية

لقد أحدثت الدولة فرصا كثيرة في كلّ المدن الجزائرية وفي تلمسان على وجه الخصوص بغرض النهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية من خلال إصدارها للقوانين والنصوص التشريعية التي تضبطه وتسيّره وخاصة في الفترة الممتدة من 1992 إلى 1997، ومن بين الأمور التي أقرّتها هذه القوانين:

- الإعفاءات والتخفيضات الجبائية.
- إمكانية الحصول على دعم مالي لشراء العتاد إذا كان النشاط يخصّ صناعة تقليدية فنيّة.
- الدعم والمتابعة من طرف غرف الصناعة التقليدية والحرف عند إنشاء مؤسسة مصغّرة أو تعاونية حرفية.
- تسهيل الإجراءات الجمركية وتخفيض الرسوم عند تصدير المنتوجات التقليدية.
- المشاركة في المعارض الوطنية والدولية لعرض وبيع المنتوج التقليدي.

وعلى الرغم من هذا كلّه، تبقى – في رأيي – هذه الإجراءات حِبرًا على ورق وبدون أيّة فاعلية ما دام النشاط الحرفي مسيّر من طرف أشخاص لا علاقة لهم بالصناعة التقليدية. والواقع يبرز ذلك، إذ أنّ الكثير من هذه الحرف ومن بينها الصناعة الجلدية هو في طريق الاندثار أو قد اندثر.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ الخطاب الذي استقيته من الجهات الرسمية الساهرة على الصناعة التقليدية في تلمسان يدلّ على انّ القطاع بخير ولا يعاني من أيّة مشاكل، ولكن في المقابل هناك خطاب جمهور الحرفيين الذين يشتكون يوميا من قلّة الاهتمام والعناية وخاصة من عدم استقرارهم المهني. فأين يكمن الخلل إذن؟

وعلى أيّة حال، فإنّني أقترح بعض التدابير التي أراها ضرورية للنهوض بقطاع الصناعة الجلدية في تلمسان، ولما لا استرجاع مكانتها وقيمتها الإنتاجية، ومن بين هذه الإجراءات أورد أهمّها:

1- الــتكوين:

من المعلوم أنّ الصناعات التقليدية كانت في القديم تنتقل من شخص إلى شخص آخر عن طريق التلقين المباشر داخل الورش والدكاكين او بالممارسة تحت رعاية صاحب الصنعة "المعّلم" الذي كانت له مكانة معتبرة في المجتمع، ويكنّ له النّاس كلّ الاحترام والتقدير.

ولكن بمرور الوقت ونتيجة للتحوّلات والتغيّرات الاجتماعية والاقتصادية وخاصة الثقافية التي طرأت على المجتمع التلمساني بدأ عدد الحرفيين يتناقص، فمنهم من انتقل إلى رحمة الله تعالى، ومنهم من أصبح في سنّ لا تسمح له بممارسة أيّ عمل، ومنهم من تخلّى عن حرفته طواعية لأسباب عديدة ومتنوعة. وهكذا أصبح العمل اليدوي والحرفي يفقد قيمته شيئًا فشيئًا إلى أنّ أصبح محور حديث العامة والخاصة من حرفيين وإداريين وغيرهم.

وفي محاولة للحفاظ على هذا الإرث الحضاري الذي تركه لنا آباؤنا وأجدادنا، كان لزاما على الجهات الوصية أن نجد حلاّ للنهوض بالصناعة التقليدية بعد أنّ أحسّت بأنّ خطر الاندثار والزوال يحوم بها، فقامت بإدراج العديد من النشاطات الحرفية ضمن برامج مراكز ومعاهد التكوين المهني من خلال إعطاء دورات تكوينية تختلف مدتها من نشاط إلى آخر على أنّ يتخرّج التلميذ بشهادة في آخر التكوين تسمح له بالولوج في الحياة العلمية.

ولكنّ ما أراه منافيا للمنطق هو أنّ هذه المراكز تستقطب في جميع الأحوال تلاميذ فَشِلوا في مشوارهم الدراسي، حيث عند دخولهم إلى المركز لا يكون لهم استعدادات فنية ولا ميولات اتجاه حرفة من الحرف، فعادة ما يكون الاختيار عن طريف الصدفة ودون أي اقتناع أو بالإكراه من طرف أوليائهم. ولهذا نجد التلميذ يخوض في عالم لا يعرف عنه أيّ شيء، ويبقى نجاحه أمراً نسبيًا.

وعلى هذا الأساس، يجب أن يكون الاهتمام بالحرف التقليدية في طور متقدّم من الحياة الدراسية للتلميذ، ويكون ذلك ممكنا إذا ما أحدث المعنيون بالأمر في بلادنا تعديلاً على المنظومة التربوية من خلال إدماج النشاطات الحرفية ضمن برامج التربية الفنية في المدارس الابتدائية والإكماليات والثانويات كما هو معمول به في كثير من البلدان،

وإعطائها الأهمية نفسها التي تحظى بها المواد الأخرى وحتّى لا تُهمش من طرف التلاميذ ويظنّونها مواد للترفيه والتسلية. فمن المعلوم أنّ التربية الفنية **"تساعد على تنمية قدرات الطلبة وقابليتهم الفنية وترقية مهاراتهم اليدوية، وتجعل نموّهم الفني ومهاراتهم اليدوية تنمو نموًا متوازنًا في جميع نواحي الفنون التشكيلية والتطبيقية"**[1].

ففي حالة إخفاق التلميذ في حياته الدراسية يكون قد اكتسب خبرة في إحدى النشاطات الحرفية تمكنّه من مواصلة مشواره التعليمي داخل مراكز التكوين المهني دون أيّ عناء في اختيار تخصّصه لأنّه يكون مهيّأ لذلك؛ ومن هنا نخلق جيلا جديدًا من الحرفيين يضمن للحرف التقليدية البقاء والدوام.

2- الـتسويق:

من الأمور التي يعاني منها الحرفيون على اختلاف صنائعهم مشكلة تسويق منتوجهم التقليدي، الذي لا يتعدى تسويقه – وفي جميع الأحوال – السوق المحليّة. وبالفعل، لقد أصبح الطلب على المصنوعات التقليدية – في السنوات الأخيرة – يعرف تقهقرًا ملحوظًا حيث تناقص كلّية وبصورة كبيرة، ولعلّ السبب في ذلك يرجع أساسا إلى التغيّر الذّي طرأ على السلوكات الاستهلاكية لأفراد المجتمع والتي تعود – هي الأخرى – على التغيّر الحاصل في نمط معيشتهم بفعل **"الغزو الثقافي، وذلك ما جعل النّاس يتعدّون تدريجيا على الأصول الراسخة في الثقافة ويتنافسون على التقليد الأعمى للثقافة الغربية"**[2].

ويعرف حرفيّو الصناعة الجلدية في تلمسان – في الوقت الحاضر – مشكل تسويق منتوجهم التقليدي، وهو المشكل الأكثر انتشارًا في أوساط هذه الفئة من المجتمع. فلقد أصبح هذا العائق – على حدّ تعبير أحدهم – منغرسا في حياتهم المهنية ويتعايشون معه، إذ لا خيار لهم إلاّ الاستمرار في عملهم ما دام أنّهم لم يجدوا البديل.

وعلى الرغم من ذلك، لقد أوجد الحرفيون حلاّ مؤقتا لهذا المشكل، وذلك باتّباع طريقة الإنتاج حسب نظام الطلبيات (Commandes)، الأمر الذي يجعلهم في غنّى عن إنتاج

---

[1] محمد حسين جودي، **الرسم والأشغال اليدوية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، ط2، 1419 هـ / 1999م، ص115.

[2] أوراغي أحمد، **الاستهلاك الثقافي في مدينة تلمسان**، مرجع سابق، ص155.

كميات كبيرة من السلع، لأنّ ذلك يقتضي تخزينها وتكديسها وهذا ما لا يقدر عليه الحرفي البسيط، باعتبار إمكانياته المادية لا تسمح بذلك.

كما أنّ الصعوبة التي وجدها الحرفيون في تسويق منتوجه قد أجبرت العديد منهم على التعامل مع وسطاء تجاريين يمتلكون محلاّت بوسط المدينة، يبيعون لهم منتوجاتهم بأثمان رخيصة على الرغم من جودتها ودقّة إتقانها، ولكنّ الحرفي راض على هذا التعامل ما دام أنّه وجد طريقة للتخلّص من إنتاجه.

ولقد عمدّ بعض الحرفيين إلى التعاقد مع مسؤولي غرفة الحرف والصناعات التقليدية اقتناعا منهم بأنّها يمكن لها مساعدتهم في تسويق منتوجهم، حيث يسمح لهم بوضع سلعهم في قاعة العرض المتواجدة على مستوى المقرّ من أجل بيعها؛ إلاّ أنّ ثمنها يُحدّده مسؤولو الإدارة لأنّ لها في ذلك قسط من الأرباح يكون في بعض الأحيان – حسب تصريح بعض الحرفيين – أكبر ممّا يربحه الحرفي نفسه، ولهذا نجد أنّ البعض الآخر لا يحبّذ هذه الطريقة. ففي اعتقادي أنّها لا تخدم مصلحة الحرفي ولا مستقبل الحرف التقليدية بتلمسان.

وبناء على ما تقدّم لا يمكن لأيّ مجهودات أو أنشطة في المجال الإنتاجي وخاصة في الصناعة الجلدية أن تنجح إلاّ بوجود استراتيجيات مناسبة وعلى المستوى التسويقي خصوصا، ذلك أنّ التخطيط السليم للتسويق بعناصره المختلفة هو الضمانة الأكيدة لدوام هذه الصناعة من جهة وكرافد اقتصادي من جهة أخرى، فلابدّ من وجود مبادرات ومشاريع وخطط مدروسة لتطوير المصنوعات الجلدية وعصرنتها لتتماشى ومتطلّبات العصر، وتسويقها وترويجها في الأسواق المحلية والوطنية والعالمية.

ومن الإجراءات التي أراها مناسبة لحلّ مشكل التسويق، والتي يمكن أن تقوم بها الجهات الوصيّة على قطاع الصناعة التقليدية عامّة والصناعة الجلدية على وجه الخصوص:

- أوّل إجراء يمكن أن يقوم به الساهرون على تسيير هذا القطاع تجميع الحرفيين في فضاء إنتاجي واحد من خلال تخصيص ورشات صغيرة أو دكاكين تكون – من الأفضل – وسط المدينة أين يكثر الراجلون والزائرون، الشيء الذي يعيد لهم الثقة في النفس والرغبة في الابتكار والإبداع، فتنفتح أمامهم فرص تسويق منتوجهم التقليدي، وليس تهميشهم بوضعهم في أماكن بعيدة عن كلّ الحركة.

وما من شك أنّ الاحتكاك المباشر للحرفي بأفراد المجتمع سيؤدي حتما إلى تغيير نظرتهم إليه، وذلك باسترداد قيمته ومكانته التي فقدهما من زمن بعيد. ومن ثمّ تحسين وضعيته الاجتماعية التي لم تتحسّن منذ أن عرفت الصناعات التقليدية ركوضًا في كثير من المجالات.

- ولعلّ من أحسن الإجراءات التي يمكن اتخاذها لحلّ مشكل التسويق: **التخصص والاحتراف:** وهو أن يتخصّص الحرفي في إنتاج سلعة واحدة أو مجموعة متقاربة من السلع يجد نفسه فيها أكثر تحكما ودقّة؛ لأنّ ذلك يسمح بانخفاض تكاليف الإنتاج وارتفاع درجة جودته وإتقانه، فيسهل على الحرفي تسويق منتوجه وحتّى إن كان بأثمان غالية.
- وهناك طريقة أخرى أكثر عصرنة عرفت نجاحًا كبيرًا في كثير من البلدان المتقدمة كالولايات المتّحدة وكندا وحتّى في بلدان عربية كالمغرب الأقصى وهي التسويق عن طريق التجارة الالكترونية (internet)، ومعلوم أنّ ذلك لا يتأتى إلاّ بإنشاء مواقع (Sites) شخصية أو جماعية للحرفيين يعرضون فيها مختلف منتوجاتهم، حيث تكون تحت تصرّف عدد كبير من المهتمين بالصناعات التقليدية ومن المستهلكين على المستوى الوطني والعالمي خاصّة.
- ويجب أيضا مساعدة الحرفيين ماديّا عند مشاركتهم في المهرجانات والمعارض الوطنية والدولية لأنّ الكثير منهم ليست له إمكانيات للتنقل أو لإنتاج كميات كبيرة من السلع، ولهذا يجب أن تكون هذه المساعدات في وقت يسمح للحرفي أن يستعد لمثل هذه التظاهرات الثقافية.
- وآخر إجراء أظنّه أمرًا مهمًا في نجاح عملية التسويق وهو أن يُنَظَّمَ الحرفيون أنفسهم في إطار رسمي يسمح لهم بضبط مشاكلهم وحلّها بكلّ سهولة؛ لأنّ العديد منهم ينشط بمنازلهم أو في دروب وأزقة يصعب حتى على ابن المدينة العثور عليهم. ويتأتى ذلك من خلال إنشاء "جمعية" ذات أساس متين، حيث تكون مشكّلة من حرفيين يحظون بسمعة معترف بها وتقدير من طرف الهيئات الإدارية. وقد تساعد هذه الجمعية على وضع إحصائيات دقيقة تمكّن أصحابها من تقييم قطاع الصناعة التقليدية عامّة والصناعة الجلدية خاصة في أيّ وقت من الأوقات، وتمكّن الحرفيين أنفسهم من جمع شتاتهم ولما لا حل جميع مشاكلهم وخاصة مشكل التسويق.

3- الـسياحـة:

لا ينكر أحد منّا بأنّ للسياحة دورًا كبيرًا في دفع قطاع الصناعة التقليدية إلى الأمام، فكلاهما يعدّ تكملة للآخر. ولهذا لابدّ من إيجاد حلول عاجلة للنهوض بالقطاع السياحي في بلادنا وتلمسان على وجه الخصوص، ويتأتى ذلك بتوفير الإمكانيات المادية والبشرية وخاصة الاستقرار الأمني. فكلّ هذه العوامل من شأنها أن تخلق المناخ المناسب لتوافد السيّاح على زيارة المدينة، ومن ثمّ يساهمون بصورة غير مباشرة من خلال اقتنائهم لشتى أنواع المنتوجات التقليدية والحديثة في ديمومة الصناعة التقليدية وبقائها.

وقد عبّر الميثاق الوطني على هذه الفكرة حيث جاء في إحدى نصوصه:

"لقد أصبح من الآن بل من الضروري إيجاد صيغ متميزة كفيلة بتطوير السياحة تطويرًا يستجيب أحسن استجابة للاحتياجات المتعدّدة والمختلفة المعبّر عنها في هذا المجال. إنّ توسيع وظائف السياحة بفضل تنشيط سليم التصوّر يشكّل نوعا من أنواع ترقية الثقافة والصناعة التقليدية المحلية، والتراث الوطني، بشكل عام ..."[1].

أمّا فيما يخص التشريعات المسيّرة لهذا القطاع، فقد تداركت الدولة النقص الذي كانت تعاني منه الصناعة التقليدية، وذلك بإصدارها لجملة من المراسيم والقوانين من شأنها هيكلة وضبط تسيير هذا القطاع.

4- إنشاء الـمدابغ:

ممّا لا ريب فيه أنّ ازدهار صناعة الجلود والصناعة الجلدية في وقت من الأوقات بتلمسان إنّما يعود بالدرجة الأولى إلى وجود عدد كبير من دور الدّباغة. ولقد كان لهذه المدابغ أهمية كبيرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية للمدينة؛ فهي من جهة كانت تستقطب عددًا كبيرًا من العمال مساعدة بذلك على امتصاص البطالة، ومن جهة أخرى كانت تموّن الحرفيين بالجلود الطبيعية، ولعلّ هذا ما يفسّر العدد الهائل من البلغاجيين والسرّاجين الذين كانوا ينشطون بتلمسان.

ولكن اختفاء هذه المدابغ أحدث انقلابا على الصناعة الجلدية، حيث أصبحت تتراجع يوما بعد يوم إلى ان وصلت إلى ما هي عليه اليوم من خمول وركود. وإذا افترضنا بأنّ هذه المدابغ هي التي أعطت تلمسان شهرتها في مجال الصناعة الجلدية، فلماذا لا يفكّر

---

[1] الميثاق الوطني، 16 جانفي 1986، ص185.

المعنيون بالأمر في بناء ولو مدبغة واحدة حديثة عوض ان تبقى المدينة دائمة الارتباط بمدينة وهران في مجال صناعة الجلود؟

المطلب الثالث: دور الصناعات الجلدية في دفع عجلة التنمية

ممّا لاشّك فيه أنّ الصناعة التقليدية والصناعة الجلدية على وجه الخصوص قد شكلّت – في الماضي – إحدى المصادر الهامّة في الاقتصاد المحلّي لتلمسان، فقد احتلّت مكانة مرموقة وأهمية بالغة في المبادلات التجارية لأفراد المجتمع كلّه. ولعلّ ما يُبرز هذه الأهمية هو انتشار الحرفيين المستعملين للجلود في عدّة أماكن من المدينة كالسّراجين والبلغاجيين؛ كما أنّ النمط المعيشي التقليدي الذي كان يطغى على المجتمع التلمساني ساعد على ازدهار هذه الصناعة بحيث كانت تعدّ أحد الموارد الذي يعتمد عليها الفرد في تلبية حاجياته اليومية.

ومن هنا تظهر الوظيفة الاجتماعية – الاقتصادية التي يمكن أن تلعبها الصناعة الجلدية على مستوى هذين المستويين، فلو وجّهت الوجهة الصحيحة لكانت قادرة على خلق مناصب عمل دائمة، ومن ثمّ امتصاص البطالة التي يعاني منها شباب المدينة، كما أنّها قادرة على خلق الثروات وتوفير مداخيل بالعملة الصعبة ولما لا تكون البديل الأمثل لقطاع المحروقات في الجزائر لأنّها قادرة – لو استغلّت الاستغلال الأمثل – على أن تساعد بشكل من الأشكال في تقوية وتوجيه الاقتصاد المحلّي وتطويره.

والحقيقة أنّه إذا كان اغلب شبابنا اليوم لا يولي أيّ اهتمام بالموروث المادي الثقافي للمدينة وخاصة الصناعة التقليدية على اختلاف اختصاصاتها، فإنّ السبب يعود بالدّرجة الأولى إلى فقدان مركزيتها وقيمتها الاقتصادية وكذلك تهميشها نتيجة إعطاء الأولوية للصناعات الحديثة التي تعتمد على التكنولوجيا ووسائل الإنتاج المتطوّرة، ولأنّ المسؤولين لم يتخذوا الإجراءات اللازمة لإنعاشها إلاّ في وقت متأخر بعدما أحسّوا بخطر زوالها واندثارها.

ومن هذا المنطلق، لابدّ أن تتساءل الجهات الوصية على قطاع الصناعة التقليدية – وخاصة الصناعة الجلدية – عن موقعها في جدول المعاملات والمبادلات التجارية والوطنية والعالمية.

خـــاتـــــمة

خـــــاتمة

ممّا لاشكّ فيه أنّ استعمال الجلود يعود إلى بداية تاريخ الإنسانية، فقد عرف الإنسان الأوّل كيف يستغلّ هذه المادة منذ أن أحسّ بالحاجة الملحّة إلى حماية جسمه من كلّ المؤثرات التي تحيط به، وخاصة الظروف الطبيعية القاسية التي عاشها ويعيشها أيّ إنسان كالبرد والحرّ وغيرهما.

إنّ الإنسان بحكم بدائيته كان يمتهن الصيّد لتلبية حاجاته اليومية منها، وذلك باستعمال لحومها في غذائه وجلودها وفروتها في حماية نفسه، ونظرًا لتطوّر متطلّباته كمّاً ونوعا نتيجة زيادة عدد أفراد أسرته اهتدى إلى طريقة أسهل وأكثر تحضّراً وهي تربية الحيوانات، هذه الطريقة التي أجبرته على عدم الانتقال، بل الاستقرار والتمركز، فمكّنته من تقويم حياته المعيشية وتأمين مسيرته التاريخية.

لقد استطاع هذا الإنسان أن يصنع جلود هذه الحيوانات باستعمال وسائل إنتاج بسيطة عدّة أشياء استخدمها لأغراض متنوعة، وأكثرها نفعية كالأواني والأدوات المنزلية المختلفة، ولعلّ هذا ما يبرز بأنّ الإنسان الأوّل كان حرفيا، بل كان محتّم عليه بأن يكون حرفيًا من أجل إشباع الحاجات الذاتية لأفراد أسرته. وعلى هذا الأساس دخلت الجلود في عُرفِ الصناعات التقليدية.

وبمرور العصور، أصبحت تحتلّ الصناعة الجلدية بكلّ ما تنتجه من مصنوعات مكانة عالية عند كثير من الشعوب والأمم خاصة من الناحية الاقتصادية، حيث تعدّ الجلود في العديد من البلدان – وفي الوقت الراهن – واحدة من السلع التي تعتمد عليها في صادراتها ومبادلاتها التجارية الخارجية.

وتلمسان من هذه الشعوب التي نالت حظّها من هذه الصناعة، فقد عرفت المدينة استعمال هذه المادة في صناعتها التقليدية منذ زمن بعيد، وقد بينت ذلك من خلال المراحل التاريخية التي مرّ بها هذا النشاط ابتداء من القرون الوسطى إلى يومنا هذا.

لقد مرّ هذا النشاط كباقي الصناعات الأخرى بفترة طويلة من الزمن عرف فيها ازدهاراً ورُقيا كبيرين جعلا من تلمسان قِبلة للقوافل التجارية التي كانت تتوافد على أسواقها لاقتناء البضائع ومن بينها الجلود التي كانت تنتجها دور الدباغة المنتشرة في حواف المدينة.

ولكن هذا الانتعاش الذي عرفته الصناعة التقليدية عامّة والصناعة الجلدية على وجه الخصوص بدا يتناقص شيئًا فشيئًا، وخاصة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، هذه الفترة التي ظهرت فيها الثورة الصناعية التي حملها معه المستعمر والتي أحدثت عدّة تغييرات في المجال الاجتماعي والسياسي والثقافي وخاصة الاقتصادين دون أن ننسى ما حملته من تطوّر تكنولوجي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاستعمار منذ دخوله مدينة تلمسان عمد إلى إثبات وجوده من خلال:

- تغيير التصميم العمراني للمدينة وذلك بتغيير أماكن بعض الأسواق التقليدية وتعويضها بمقاهي وساحات ومتنزهات وغير ذلك؛ ولعلّه كان يهدف من وراء ذلك تحطيم مقوّمات الصناعات التقليدية.
- محاولة تشتيت المجتمع وتفكيك وحدته لطمس هويته وانتمائه، ومن ثمّ تجريده من كلّ ما له علاقة بتراثه الثقافي والحضاري والتاريخي.
- تحديث وسائل الإنتاج وخلق طرق وأساليب جديدة في التصنيع كاستعمال الآلات الميكانيكية والمواد الاصطناعية المختلفة كالبلاستيك والألومنيوم والجلود المصنّعة.
- بناء المعامل والمصانع الحديثة التي كانت تُشغِّل الكثير من أبناء المدينة، وهذا ما أدّى إلى إبعادهم عن ممارسة إحدى الصناعات التقليدية.

كلّ هذه العوامل كان لها أثرها البارز في تقهقر الصناعة التقليدية بالمدينة منذ دخول ظهور بوادر الثورة الصناعية على جميع الأصعدة.

وبمرور السنين، طرأ تغيّر كبير على النمط المعيشي لعدد كبير من الحرفيين – ومن بينهم حرفيّو الصناعة الجلدية – الأمر الذي جعل الكثير منهم يهجرون صنائعهم إلى ميادين ومهن أخرى ذات دخل سريع ومضمون.

ولقد أصبحت هذه الصناعات في أيّامنا ضحية للطفرة التنموية التي تمرّ بها البلاد؛ إذ لم يبق منها إلاّ نتف هنا وهناك نتذكرها حينما تأتي مشاركة أصحابها في المهرجانات والمعارض الوطنية أو العالمية أو غيرها.

وبما أنّ أهداف البحث تكمن في إيجاد الحلول والسبل الكفيلة للنهوض بالصناعة التقليدية واسترجاع مركزها الاجتماعي وقيمتها الاقتصادية في المجتمع، فقد تمكنّت من حصر بعض الإجراءات التي أراها مناسبة لدفع حركية هذا القطاع، ومن أهمّها:

- **التكوين:** ويتأتى ذلك بإدراج الصناعة التقليدية ضمن برامج المدارس الابتدائية والمتوسطات والثانويات وإعطائها نفس الأهمية التي تحظى بها المواد الأخرى، إلى جانب توفير المكوّنين المتخصّصين والبرامج التعليمية المدروسة والوسائل اللازمة وخاصة الكتب.
- **التسويق:** ويكون ذلك بإيجاد طرق حديثة في ترويج المنتوج التقليدي كاستعمال الأنترنت مثلا، فهي طريقة حديثة تستعملها الكثير من البلدان المتقدّمة وحتى بلدان عربية كالمغرب الأقصى والأردن والسعودية. كما أنّ تجميع الحرفيين في فضاء إنتاجي موحدّ داخل المدينة، فيكونون على اتّصال مباشر بالمستهلك ومن ثمّ تتحرّك مبيعاتهم.
- **السياحة:** أظنّ بأنّه لو كانت السياحة بخير ببلادنا لما وصلت إليه الصناعة التقليدية إلى ماهي عليه اليوم؛ فمن المعلوم بأنّ السياحة تكملة لقطاع الصناعة التقليدية وإلاّ كيف نفسّر ازدهارها في بلدان مجاورة للجزائر. فلا يخفى على أحد منّا أنّ السياحة في المغرب وتونس مثلا تجذب سنويا الملايين من السيّاح وخاصة الأجانب المولعون بالمصنوعات التقليدية والتحف الفنية التي تنتجها أيادي الحرفيين، فهم يساهمون بشكل مباشر في تطوير هذا القطاع.

وإنّني أرى أنّه إذا استطاعت الجهات الرسمية الساهرة على الصناعة التقليدية في بلادنا من التحكّم في هذه الأمور الثلاثة ومتابعتها لسنوات مستمرة لتمكّنت من إعطاء دفعة جديدة لهذا القطاع.

وفي الأخير، تجدر الإشارة إلى أنّ التمسك بالتراث – والصناعات التقليدية على وجه الخصوص – يؤكدّ إلى حدّ كبير مفهوم الهويّة الحضارية والثقافية لدى كلّ أمّة في عصرنا الراهن، وهو بهذه الصفة يحمل شرعيته الإنسانية والفكرية والحسية وآفاق الإبداع الثقافي في المجتمع كونه إرثًا مرئياً ومُعاشا يحيط بكلّ جوانب حياتنا وذاكرتنا وروحنا.

ولهذا، فمن الواجب علينا الآن أن ننبأ الأجيال الحاضرة والقادمة بمكانة التراث الحضاري لبلادنا وما خلفه لنا الأجداد من تجارب فنية كان لها الأثر الكبير في تطوّر شتّى مجالات الحياة ومن بينها الصناعة التقليدية، والتي تمكّن الجيل الجديد من خلالها أن يتنبأ بأهميتها في المستقبل عن طريق دراستها والبحث فيها، فيتشرّب منها مختلف القيم الفنية. ويمكن اعتبار دراستها بمثابة اكتساب خبرات جديدة للأجيال القادمة تُعينهم على ابتكار أساليب جديدة ومواصلة ما قام به آباؤنا وأجدادنا من إبداعات وابتكارات.

ولابدّ من التأكيد أيضا على أنّ الحرفي والمجتمع تقوم بينهما صلة إيجابية حينما يكون كلّ منهما على نفس الطريق: المنتج والمتذوق (المستهلك). وعندما تنمو هذه العلاقة وتسير طرديا تساعد على إعطاء الصناعة التقليدية قوتها في الاستمرار والتبلور والتأكيد، وهذه قضية تحتاج التركيز على الحرفي، وعلى الوسائل التي يتكون بها مثلما تحتاج إلى التركيز على المجتمع ذاته الذي هو المستهلك الأول.

ومهما بلغ الإنسان من درجات التطوّر، فإنّه يبقى دوما يستمدّ قوته من ثقافته وتاريخه، فيحاول الحفاظ عليه والاطلاع على تفاصيله، ويحيي ثقافته ويعطيها الأهمية اللازمة لاعتقاده فيها وفي ضرورة وجودها.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولا: المراجع بالعربية

1- ابن خلدون، **المقدمة**، الجزء 2، تحقيق: عبد الله محمد درويش، ط1، 1425هـ/ 2004م.

2- الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزء الأول.

3- بو سليم صالح، **الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكلت – صناعة الفخار والجلود نموذجا –**، دراسة ميدانية فنية إثنوغرافية.

4- عنايات مهدي، **فن الزخرفة على الجلد**، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1991.

5- فوزي سالم عفيفي، **نشأة الزخرفة وقيمتها ومجالاتها**، مراجعة الدكتور مصطفى عبد الرحيم، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ / 1997.

6-مبارك بن محمد الهيلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزء 3.

7- محمد تروزين، **صناعة المضفرات والمنتوجات الحلفاوية بالمنطقة السهبية من دائرة سبدو بولاية تلمسان**، المعهد الوطني العالي للثقافة الشعبية، تلمسان، 1993.

8- محمد حسين جودي، **الرسم والأشغال اليدوية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، ط2، 1419 هـ / 1999م

9-محمد حسين جودي، **ابتكارات العرب في الفنون وأثرها في الفن الأوروبي في القرون الوسطى**، دار المسيرة، 2007.

10- واضح الصمد، **الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1402هـ - 1989م.

11- **دباغة الجلود وصناعة المواد المتعلقة بها**، ترجمة وإعداد جعفر طه الهاشمي، دار الصفدي، دمشق، 1418 هـ -1998م، ط1.

ثانيا: مذكرات التخرج:

1- أوراغي أحمد، **الاستهلاك الثقافي في مدينة تلمسان**، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، 2000.

2-نقادي سيدي محمد، **التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالته الاجتماعية**، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، تلمسان، 1991.

ثالثا: المنشورات

1- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **الخطة القومية للنهوض بالصناعات التقليدية في الوطن العربي**، تونس.

2-**الصناعات التقليدية الجزائرية**، وزارة السياحة والصناعات التقليدية، مديرية الصناعات التقليدية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، أفريل 1998.

3- الميثاق الوطني، 16 جانفي 1986.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية

01- Journée d'étude sur l'artisanat traditionnel : **communication de monsieur le ministre du tourisme et de l'artisanat**, sidi – Fredj, 15/11/1994.

02- TELEMCEN : au passé rapproché 1937 – 1962 ; Edition Gandini ; Avril 1997 ; p71.

03- TELEMCEN : Georges Marçais ; Librairaie Re mouard ; H.Laureus ; Editeur ; 1950

04- D. JEMMA, **Les Tanncurs de MARRAKECH**, Mémoires du C.R.A.P.E xix ; imp, ZABAN, Alger .

05- Revne : Terre et Vie, N° 42 ; Mars 2000. Sevteur de la Tannerie au Maroc par Mohammed Marzak.

06- Henri MAYEUX ; **La Composition décorative**, A. quantin Editeur, 1884.

07- **Monographie de la Wilaya TLEMCEN** : wilaya de Tlemcen ; Direction de la Planification et de l'Aménaement du Territoire ; juin 2001.

الـملاحق

بعض الصور الخاصة بالصناعات الجلدية:

أولا: البلغة

ثانيا: الأحذية والأحزمة

ثالثا: الـملابس

رابعا: السراويل والقفازات

خامسا: المحافظ وحقائب السفر

فـــهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ – هـ
الفصل الأول: موضوع الصناعات الجلدية	**06**
المبحث الأول: صناعة الجلود في تلمسان بين الصناعات الأخرى	**07**
مدخل	**07**
المطلب الأول: النهوض بقطاع الصناعات التقليدية	07
المطلب الثاني: أهم الصناعات التقليدية في تلمسان.	11
1-الصناعات النحاسية.	11
2- اللباس التقليدي.	12
3- الصناعات النسيجية.	15
4- صناعة الزرابي.	17
المبحث الثاني: الصناعات الجلدية (منطقة تلمسان أنموذجًا)	**19**
مدخل	**19**
المطلب الأول: مادة الجلد.	20
المطلب الثاني: دباغة الجلود.	22
• **أولا:** عمليات ما قبل الدباغة (تهيئة مادة الجلد)	28
• **ثانيا:** عملية الدبغ وما يليها.	30
المطلب الثالث: صباغة الجلود.	34
الفصل الثاني: الصناعات التقليدية	**36**
المبحث الأول: المنتوجات الجلدية القديمة	37
مدخل	37
المطلب الأول: أهم المنتوجات الجلدية القديمة.	37
• **أولا:** البلغة.	37

• **ثانيا:** الوسائد الجلدية.	39
• **ثالثا:** منتوجات جلدية أخرى.	41
1- تجليد الكتب.	41
2- صناعة سروج الخيل.	44
المطلب الثاني: عوامل ازدهار الصناعات الجلدية.	45
المطلب الثالث: آفاق الصناعات الجلدية.	47
المبحث الثاني: النهوض بالصناعات الجلدية	**51**
مدخل	**51**
المطلب الأول: عصرنة المنتوج الجلدي.	51
1- صناعة الأحذية.	52
2- المحافظ.	53
3- الملابس الجلدية.	54
المطلب الثاني: استغلال قطاع الصناعات الجلدية.	57
1- التكوين.	58
2- التسويق.	59
3- السياحة.	62
4- إنشاء المدابغ.	62
المطلب الثالث: دور الصناعات الجلدية في دفع عجلة التنمية.	63
خاتمة	**65 – 68**
قائمة المراجع.	**70 – 72**
ملاحق الصور.	**74 - 77**
فهرس المحتويات.	

ملخص:

وفي الأخير، تجدر الإشارة إلى أنّ التمسك بالتراث – والصناعات التقليدية على وجه الخصوص – يؤكدّ إلى حدّ كبير مفهوم الهويّة الحضارية والثقافية لدى كلّ أمّة في عصرنا الراهن، وهو بهذه الصفة يحمل شرعيته الإنسانية والفكرية والحسية وآفاق الإبداع الثقافي في المجتمع كونه إرثًا مرئياً ومُعاشا يحيط بكلّ جوانب حياتنا وذاكرتنا وروحنا.

Résumé :

Enfin, il convient de noter que l'adhésion au patrimoine - et aux industries traditionnelles en particulier - confirme largement le concept d'identité culturelle et culturelle de chaque nation de notre époque actuelle, En tant que tel, il porte la légitimité humaine, intellectuelle et sensorielle et les horizons de la créativité culturelle dans la société comme un patrimoine visuel et un environnement vivant qui entoure tous les aspects de nos vies, de nos souvenirs et de notre esprit.

Abstract :

Finally, it should be noted that adherence to heritage - and traditional industries in particular - largely confirms the concept of cultural and cultural identity of every nation in our present age, As such, it carries the human, intellectual and sensory legitimacy and horizons of cultural creativity in society as a visual heritage and a living environment that surrounds all aspects of our lives, memories and spirit.